فجنود أتباع الرسول ملائك وجنودهم فعساكر الشيطان
شتان بين العسكرين فمن يكن متحيزاً فلينظر الفئتـــان
واثبت وقاتل تحت رايات الهدى واصبر فنصر الله ربك دان
واذكر مقاتلهم لفرسان الهدى لله در مقاتل الفرسان
وادرء بلفظ النص في نحر العدى وارجمهم بشواقب الشهبان
لا تخش كثرتهم فهم همج الورى وذبابه أتخاف من ذبان ؟
واشغلهم عند الجدال ببعضهم بعضاً فذاك الحزم للفرسان
واذا هم حملوا عليك فلا تكن فزعاً لحملتهم ولا بجبان
واثبت ولا تحمل بلا جند فما هذا بمحمود لدى الشجعان
فإذا رأيت عصابة الاسلام قد وافت عساكرها مع السلطان
فهناك فاخترق الصفوف ولا تكن بالعاجز الواني ولا الفزعان

هذا شروع في وصية نافعة ومقدمة جامعة قبل الشروع في المحاكمة بين الطوائف، أوصى بها المصنف قدس الله روحه ، ونور ضريحه لمن يعقل عن الله ، وذلك أن الانسان لم يخلق سدى مهملاً ، بل خلقه الله لأمر عظيم ، وخطب جسيم ، خلقه الله سبحانه لعبادته الجامعة لمحبته وخشيته ، والذل والخضوع له ، وهيـــأ دارين دار جزاء للمحسنين ودار عقاب للمخالفين ، فتعين على من طلب نجاة نفسه التهيؤ والاستعداد لما يقربه من رضى ربه ، وينجيه

من عقابه وعذابه ،ولا سبيل إلى ذلك إلا متابعة الرسول ﷺ في الدق والجل ، وتقديم طاعته على طاعة غيره ، فلهذا قال : يا ايها الرجل المريد نجاته الخ .... وكما قال المصنف فيما يأتي : يامن يريد نجاته يوم الحساب من الجحيم وموقد النيران ، اتبع رسول الله في الاعمال والأقوال الخ ....
قوله : مقدمة بكسر الدال كمقدمة الجيش ، أول ما يتقدم منه ، وبفتحها على قلة » وقوله : معوان هو اسم فاعل. وعاونه معاونة و عوانا : أعانه والمعوان : الحسن المعونة أو كثيرها . قاله في « القاموس » قوله : اضرب بسيف الوحي . استعار اسم السيف للوحي اشارة إلى قطعه المنازع لأن الوحي دليل قاطع سمعي عقلي ، والوحي هو العلم النافع ، والدليل القاطع ، لازخارف المتكلمين ، وهذيان الفلاسفة والمتصوفين ، القاطعة عن الله ورسوله. من تبعها وقدمها على الوحي المبين ، والمنهج الواضح المستبين ، وهو كتاب الله المتين ، وسنة رسوله الصادق الأمين فقد ضل سواء السبيل ولله در القائل .

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس خلف فيه
ماالعلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول و بين رأي سفيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة ... بين النصوص و بين رأي فقيه
كلا ولا ردالنصوص تعمداً ... حذراً من التجسيم والتشبيه
ماشاالنصوص من الذي رميت به ... من فرقة التعطيل والتمويه

قوله : وادرأ بلفظ النص في نحر العدى . الدرء : الدفع وبابه قطع

قوله: همج. الهمج بفتحتين جمع همجة، وهي ذباب صغير كالبعوض، يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها، ويقال للرعاع الحمقى: انمـا هم همج. «مختار الصحاح» قوله: ذباب. الذب المنع والدفع، وبابه رد، والذبانـة بالضم وتشديد الباء ونون قبل الهاء [1] واحدة الذباب ولا [2] تقل ذبانة بالكسر وجمع الذباب في القلة، أذبة، والكثير ذبان كغراب وأغربة وغربان «مختار الصحاح» قال الناظم رحمه الله تعالى:

وتعر من ثوبين من يلبسهما … يلقى الردى بمذمّة وهوان

ثوب من الجهل المركب فوقه … ثوب التعصب بئست الثوبان

وتحل بالانصاف أفخر حلة … زينت بها الأعطاف والكتفان

واجعل شعارك خشية الرحمن مع … نصح الرسول فحبذ الأمران

وتمسكنّ بحبله وبوحيـه … وتوكلنّ حقيقة التكلان

فالحق وصف الرب وهو صراطه الـ … هادي إليه لصاحب الإيمـان

وهو الصراط عليه رب العرش أيـ … ضاً ذا وذا قد جاء في القرآن

والحق منصور وممتحن فلا … تعجب فهـذي سنة الرحمن

وبذاك يظهر حزبه من حزبه … ولأجل ذاك الناس طائفتان

ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والـ … كفار مذ قام الورى سجلان

---

(١) في الاصل: قيل إنها.

(٢) في الاصل: ولان.

لكنما العقبى لأهل الحق إن   فاتت هنا كانت لدى الديان

قوله : تعر. فعل أمر من التعري يقال : عري من ثيابه بالكسر عريا بالضم فهو عار وعريان والمرأة عريانة، و ما كان على فعلان فمؤنثه بالهاء . قاله في « مختار الصحاح » قوله : الجهل المركب : هو تصور الشيء على غير ما هيته ، وذلك أن حكم العقل بأمر على أمر جازم غير مطابق في الخارج هو الاعتقاد الفاسد ، وهو الجهل المركب ، لتركبه من عدم العلم بالشيء ، واعتقاد غير مطابق ، فهو أن يجهل الحق، ويجهل جهله به . والجهل البسيط : عدم العلم ، وقيل: عدم معرفة الممكن بالفعل لا بالقوة . قوله : فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي إليه لصاحب الإيمان. أما اشتقاق الصراط فالمشهور أنه من صرطت الشيء أصرطه : إذا بلعته بلعاً سهلاً، فسمي الطريق صراطاً، لأنه يصترط المارة فيه. والصراط : ما جمع خمسة أوصاف أن يكون طريقاً مستقيماً، سهلاً، مسلوكاً، واسعاً، موصلاً إلى المقصود ،فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطاً ، ولا الصعب المشق ، ولا المسدود غير الموصل، ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين ذلك، قال :

أمير المؤمنين على صراط   إذا اعوج الوارد مستقيم[1]

وبنوا الصراط على زنة فعال ، لأنه يشتمل على سالكه اشتمال الحق على الشيء المسروط . وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء ، كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش. كذا أفاده الناظم . قوله : فالحق وصف الرب وهو صراطه الهادي . إن الرب تعالى يوصف بأنه الحق ، كما في الحديث

---

(١) القائل : هو جرير .

الصحيح في «صحيح البخاري» من حديث عبد الله بن عباس «اللهم أنت الحق، ووعدك حق ولقاؤك حق .. » الحديث . وقوله : وهو الصراط عليه رب العرش ، يشير إلى قوله تعالى : (إن ربي على صراط مستقيم) هود : ٥٦ ؛ أي : هو على الحق والعدل .

قوله : وهو صراطه الخ .... قال الله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) الأنعام : ١٥٣ . قال ابن مسعود : خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله وقال : هـــذه سبل ، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ قوله تعالى : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . وهـذا لأن الطريق الموصلة إلى الله واحدة ، وهو ما بعث به رسله ، وأنزل بـه كتبه لا يصل اليه أحد إلا من هذه الطريق ، ولو اتى الناس من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب ، فالطرق عليهم مسدودة . والأبواب عليهم مغلقه إلا من هـذا الطريق الواحد فإنه متصل بالله ، موصل إلى الله . قال تعالى : (هذا صراط علي مستقيم) الحجر : ٤١ قال الحسن : معناه صراط إلي مستقيم ، وهذا يحتمل أمرين ان يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض ، فقامت أداة (علي) مقام (إلي) ، والثاني أنه أراد التفسير على المعنى ، وهو الأشبه بطريق السلف : ؛ أي : صراط موصل إلي . وقال مجاهـد : الحق يرجع الى الله ، وعليه طريقه لا يعرج على شيء . ومثل قول الحسن ، وأبين مـــه ، وهو من أصح ما قيل في الآية . وقيل : (علي) فيه للوجوب ؛ أي : علي بيانه

وتعريفه والدلالة عليه والقولان نظير القولين في آية النحل ، وهي (وعلى الله قصد السبيل) النحل: ٩ والصحيح فيها كالصحيح في آية الحجر أن السبيل القاصد وهو المستقيم المعتدل يرجع الى الله ويوصل اليه . قال طفيل الغنوي :

مضوا سلفاً قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلّب

أي : مرورنا عليهم ، واليهم وصولنا . وقال الآخر :

فهن المنايا أي واد سلكته عليها طريقي أو عليّ طريقها

افاده المصنف في تفسير هذه الآيات . قال النّاظم رحمهُ الله تعالى :

واجعل لقلبك هجرتين ولا تنم فهما على كل امرىء فرضان

فالهجرة الاولى إلى الرحمن بالا إخلاص في سرو وفي إعلان

فالقصد وجه الله بالاقوال والا أعمال والطاعات والشكران

فبذاك ينجو العبد من إشراكه ويصير حقاً عابـد الرحمن

والهجرة الاخرى الى المبعوث بالا حق المبين وواضح البرهـان

فيدور مع قول الرسول وفعله نفياً واثباتاً بـلا روغـان

ويحكم الوحي المبين على الذي قال الشيوخ فعنده حكمان

لا يحكمان بباطل أبداً وكلُّ العدل قد جاءت به الحكمان

وهما كتاب الله أعدل حاكم　　فيه الشفا وهداية الحيران

والحاكم الثاني كلام رسوله　　ما ثم غيرهما لذي إيمان

فإذا دعوك لغير حكمهما فلا　　سمعاً لداعي الكفر والعصيان

قل لا كرامة لا ولا نعماً ولا　　طوعاً لمن يدعو الى طغيان

واذا دعيت الى الرسول فقل لهم　　سمعاً وطوعاً لست ذا عصيان

وإذا تكاثرت الخصوم وصيحوا　　فاثبت فصيحتهم كمثل دخان

يرقى الى الأوج الرفيع وبعده　　يهوي الى قعر الحضيض الداني

شرع الناظم رحمه الله تعالى في ذكر الهجرتين ، فالهجرة الأولى الى الله تعالى باخلاص الاعمال والتوجه اليه ، بامتثال أمره ، واجتناب نهيه . والهجرة الثانية الى الرسول ﷺ ، باتباعه ، وتقديم قوله في الدق والجل وترك قول غيره لقوله . وللمصنف رحمه الله تعالى كتاب سماه « سفر الهجرتين وطريق السعادتين » أتى بما لا مزيد عليه ، فراجعه إن شئت

وقوله : إلى الأوج الرفيع . الأوج معرب أوك ، وهو كلمة أعجمية ، معناها : العلو . والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل . وفي الحديث إنه أهدي إلى رسول الله ﷺ هدية ، فلم يجد شيئاً يضعه عليه ، فقال : « ضعه بالحضيض فانما انا عبد آكل كما يأكل العبد »[1] يعني ضعه بالارض

قال الناظم رحمه الله تعالى :

---

(١) في الاصل : العبد ، والتصحيح من « النهاية في غريب الحديث » لابن الاثير والحضيض : قرار الأرض وأسفل الجبل .

هذا وان قتال حزب الله بال   أعمال لا بكتائب الشجعان

والله مافتحوا البلاد بكثرة   أنى وأعداهم بلا حسبان

وكذاك مافتحوا القلوب بهذه الا   آراء بل بالعلم والايمان

وشجاعة الفرسان نفس الزهد في   نفس وذا محذور كل جبان

وشجاعة الحكام والعلماء زهـ   ـد في الثنا من كل ذي بطلان

فاذا هما اجتمعا لقلب صادق   شدت ركائبه الى الرحمن

واقصد الى الأقران لا أطرافها   فالعز تحت مقاتل الاقران

واسمع نصيحة من له خبر بما   عند الورى من كثرة الجولان[1]

ماعندهم والله خير غير ما   أخذوه عمن جاء بالقرآن

والكل بعد فبدعة أو فرية   أو بحث تشكيك ورأي فلان

فاصدع بأمر الله لا تخش الورى   في الله واخشاه تفز بأمان

واهجر ولو كل الورى في ذاته   لا في هواك ونخوة الشيطان

واصبر بغير تسخط وشكاية   واصفح بغير عتاب من هو جان

واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى   ان لم يكن بد من الهجران

---

(١) يقال: جال في الحرب جولاً وجولاناً.

قوله : والله مافتحوا البلاد بكثرة الخ ... أي : ان الاسلام في بدايته كان غريباً كما قال ﷺ : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ »[١] وكما في حديث عمرو بن عبسة لما قدم على النبي ﷺ وهو مستخف بمكة ، فقال له : من معك على هذا ؟ قال : حر وعبد ؛ يعني أبا بكر وبلالاً رضي الله عنهما ، ثم فتح الله عليه وعلى أصحابه من بعده ماهو معروف في كتب السير . والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الجماعة من الخيل والجيش .

قوله : والكل بعد فبدعة أو فرية . البدعة هي ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنة . والفرية : الكذب . يقال : فرى كذباً ، خلقه ، والاسم الفرية . وقوله تعالى : (شيئاً فرياً) مريم : ٢٧ اي : مصنوعاً مختلقاً ، وقوله : الجولان . جال من باب قال ، وجولاناً أيضاً ، بفتح الواو . والجولان بسكون الواو جبل بالشام ، وتجاولوا في الحرب : جال بعضهم على بعض « مختار الصاح » .

قوله : نخوة الشيطان . النخوة : الكبر والعظمة . يقال : انتخى فلان علينا ؛ أي : افتخر وتعظم ، قاله في « مختار الصحاح » .

قوله : واهجرهم الهجر الجميل الخ.. قال الناظم في «بدائع الفوائد » سمعت شيخ الاسلام يقول : ذكر الله الصبر الجميل ، والصفح الجميل ، والهجر الجميل . فالصبر الجميل : الذي لاشكوى معه ، والهجر الجميل الذي لاأذى معه ، والصفح الجميل : الذي لا عتاب معه . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة بلفظ « بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء » وفيه أيضاً عن ابن عمر بلفظ «ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية الى جحرها» .

وانظر الى الاقدار جارية بما		قد شاء من غي ومن ايمان

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما		بالحق في ذا الخلق ناظرتان

فانظر بعين الحكم وارحمهم بها		اذ لا ترد مشيئة الديان

وانظر بعين الامر واحملهم على		أحكامه فهما اذاً نظران

واجعل لوجهك مقلتين كلاهما		من خشية الرحمن باكيتان

لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم		فالقلب بين أصابع الرحمن

واحذر كمائن نفسك اللاتي متى		خرجت عليك كسرت كسر مهان

واذا انتصرت لها فأنت كمن بغى		طفي الدخان بموقد النيران

والله أخبر وهو أصدق قائل		أن سوف ينصر عبده بأمان

من يعمل السوآى سيجزى مثلها		أو يعمل الحسنى يفز بجنان

هذي وصية ناصح ولنفسه		وصى، وبعد لسائر الاخوان

مراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الابيات أن يبين الحكم الكوني القدري، والحكم الديني الامري الشرعي، فان جميع أفعال الخلق من الطاعات والايمان، والكفر والايمان، لاتخرج عن حكم الرب تعالى الكوني القدري، فان جميع الأشياء خلقه تعالى بقدرته ومشيئته، ولكن مع ذلك لابد من النظر الى الحكم الديني الشرعي، فمعنى كلامه : إنك إذا نظرت الى الخلق بعين الحكم رحمتهم. لأن مشيئة الله تعالى لاترد، وماشاء

الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، ولكن مع ذلك انظر الى عين الامر ، واحملهم عليها ، أي : فحد الزاني ، واقطع السارق ، واجلد القاذف ، واقتل القاتل ، ونحو ذلك مما أمر الله ورسوله به ، وهذامعنى قوله : فانظر بعين الحكم وارحمهم بهاالخ .. ومعنى قوله : وانظر بعين الأمر واحملهم على الخ .. قال المصنف رحمه الله تعالى في «شرح منازل السائرين» في منزلة الفكرة : لما تكلم على الفناء الذي يذكره الصوفية فصل : وأصل هذا الفناء الاستغراق في توحيد الربوبية ، وهو رؤية تفرد الله بخلق الاشياء وملكها واختراعها ، وأنه ليس في الوجود قط إلا ماشاءه وكونه ؛ فيشهد مااشتركت فيه المخلوقات من خلق الله إياها ، ومشيئته لها وقدرته عليها ، وشمول قيوميته وربوبيته لها ، ولا يشهدماافترقت فيه من محبة الله لهذا ، وبغضه لهذا ، وأمره بما أمر به ، ونهيه عما نهى عنه ، وموالاته لقوم ، ومعاداته لآخرين ، فلا يشهد التفرقة في الجمع ، وهي تفرقة الخلق والأمر في جمع الربوبية ، وتفرقة موجب الالهية في جمع الربوبية ، وتفرقة الارادة الدينية في جمع الارادة الكونية ، وتفرقة مايحبه ويرضاه في جمع ماقدره وقضاه ، ولا يشهد الكثرة في الوجود ، وهي كثرة معاني الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ؛ واقتضاؤها لآثارها في وحدة الذات الموصوفة بها ؛ فلا يشهد كثرة دلالات أسماء الرب تعالى وصفاته على وحدة ذاته ، فهو الله الذي لا اله الا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك القدوس السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، وكل اسم له صفة وللصفة حكم ، فهو سبحانه واحد الذات ، كثير الأسماء والصفات ، فهذه كثرة في وحدة ، والفرق بين مأموره ومنهيه ، ومحبوبه ومبغوضه ، ووليه وعدوه ، تفرقة في جمع ، فمن لم يتسع شهوده لهذه الامور الأربعة ، فليس من خاصة أولياء الله العارفين ، بل لو ضاق شهوده عنها مع اعترافه بها فهو مؤمن ناقص ، وان جحدها أو شيئاً منها ، فكفر صريح ، أو بتأويل

مثل أن يجحد تفرقة الأمر والنهي ، أو جمع القضاء والقدر ، أو كثرة معاني الأسماء والصفات ووحدة الذات ، فليتدبر اللبيب السالك هذا الموضع حق التدبر ، وليعرف قدره ، فانه مجامع طرق العالمين ، وأصل تفرقهم . قد ضبطت لك معاقده ، وأحكمت لك قواعده ؛ وبالله التوفيق . وإنما يعرف قدر هذا من اجتاز القفار ؛ واقتحم البحار ؛ وعرض له ما يعرض لسالك القفر وراكب البحر ؛ ومن لم يسافر ويخرج عن وطن طبعه ومرباه وما ألف عليه اصحابه وأهل زمانه ؛ فهو بمعزل عن هذا ؛ فان عرف قدره وكفى الناس شره ؛ فهذا يرجى له السلامة ؛ وإن عدا طوره ؛ وأنكر ما لم يعرفه ؛ وكذب بما لم يحط به علماً ، ثم تجاوز الى تكفير من خالفه ولم يقلد شيوخه ، ويرضى بما رضي هو به لنفسه ؛ فذلك هو الظالم الجاهل الذي ما ضر إلا نفسه ؛ ولا أضاع إلا حظه . انتهى ؛ والله اعلم

فصل

وهذا أول عقد مجلس التحكيم .

فاجلس اذاً في مجلس الحكمين للـــرحمن لا للنفس والشيطان

الأول النقل الصحيح وبعده ال عقل الصريح وفطرة الرحمن

واحكم اذاً في رفقة قد سافروا يبغون فاطر هذه الأكوان

فترافقوا في سيرهم وتفارقوا عند افتراق الطرق الحيران

فأتى فريق ثم قال وجدتـــه   هذا الوجود بعينه وعيانْ
ما ثم وجود سواه وانمـــا   غلط اللسان فقال موجودانْ
فهو السماء بعينها ونجومهـــا   وكذلك الأفلاك والقمرانْ
وهو الغمام بعينـــه والثلج والا   أمطار مع برد ومع حسبانْ
وهو الهواء بعينه والماء والتـ   ـترب الثقيل ونفس ذي النيرانْ
هذي بسائطه ومنه تركبت   هذي المظاهر ما هنا شيئانْ
وهو الفقير لها لاجل ظهوره   فيها كفقر الروح للأبـدانْ
وهي التي افتقرت اليه لأنـه   هو ذاتها ووجودها الحقانْ
وتظل تلبسـه وتخلعه وذا في الا   إيجاد والاعـــدام كل أوانْ
ويظل يلبســها ويخلعها وذا   حكم المظاهر كي يرى بعيانْ
وتكثر الموجود كالأعضاء في الـ   ـمحسوس من بشر ومن حيوانْ
أو كالقوى في النفس ذلك واحد   متكثر قامت به الأمرانْ
فيكون كلاً هـذه أجزاؤه   هذي مقالة مدعي العرفانْ
أو أنها كتكثر الانواع في   جنس كما قال الفريق الثاني
فيكون كلياً وجزئياتـــه   هـذا الوجود فهـذه قولانْ
إحداهما نص «الفصوص» وبعده   قول ابن سبعين وما القولانْ

عند العفيف التلمساني الذي هو غاية في الكفر والبهتان
إلا من الأغلاط في حس وتي وهم وتلك طبيعة الإنسان
والكل شيء واحد في نفسه ما للتعدد فيه من سلطان
فالضيف والمأكول شيء واحد والوهم يحسب ها هنا شيئان
وكذلك الموطوء عين الوطء وال وهم البعيد يقول ذان اثنان

تقسيم الكل إلى أجزائه ، كانقسام السكنجبين إلى خل وعسل، وتقسيم الكلي الى جزئياته كانقسام الحيوان الى إنسان وفرس .

ولربما قالا مقالته كما قد قال قولها بلا فرقان
وأبى سواهم ذا وقال مظاهر تجلوه ذات توحد ومثان
فالظاهر المجلو شيء واحد لكن مظاهره بلا حسبان
هذي عبارات لهم مضمونها ما ثم غيرٌ قط في الأعيان
فالقوم ما صانوه عن إنس ولا جن ولا شجر ولا حيوان
كلا ولا علو ولا سفل ولا وادٍ ولا جبل ولا كثبان
كلا ولا طعم ولا ريح ولا صوت ولا لون من الألوان
لكنه المطعوم والملبوس وال مشموم والمسموع بالآذان
وكذاك قالوا انه المنكوح وال مذبوح بل عين الغوي الزاني

والكفر عندهم هدى ولو انه ... دين المجوس وعابدي الاوثان

قالوا وما عبدوا سواه وانما ... ضلوا بما خصوا من الاعيان

ولو انهم عموا وقالوا كلها ... معبودة ما كان من كفران

فالكفر ستر حقيقة المعبود ... بالتسخصيص عند محقق رباني

قالوا ولم يك كافراً في قوله ... أنا ربكم فرعون ذو الطغيان

بل كان حقاً قوله اذ كان عي ... ن الحق مضطلعاً بهذا الشان

ولذا غدا تغريقه في البحر تط ... هيراً من الاوهام والحسبان

قالوا ولم يك منكراً موسى لما ... عبدوه من عجل لذي الخوران

الا على من كان ليس بعابد ... معهم وأصبح ضيق الأعطان

ولذاك جر بلحية الأَخ حيث لم ... يك واسعاً في قومه لبطان

بل فوق الانكار منه بينهم ... لما سرى في وهمه غيران

ولقد رأى ابليس عارفهم فأه ... وى بالسجود هوي ذي خضعان

قالوا له ماذا صنعت فقال هل ... غير الإله وأنتما عميان

ما ثم غير فاسجدوا ان شئتم ... للشمس والاصنام والشيطان

فالكل عين الله عند محقق ... والكل معبود لذي العرفان

هذا هو المعبود عندهم فقل ... سبحانك اللهم ذا السبحان

يا أمة معبودها موطوؤها أين الإله وثغرة الطعان
يا أمة قد صار من كفرانها جزء يسير جملة الكفران

أقول وبالله التوفيق : شرع الناظم رحمه الله تعالى فيما وضع له الكتاب وهو المحاكمة بين الطوائف ، فبدأ بمقالة الوجودية الذين هم أكفر أهل الأرض نعوذ بالله من الزيغ .

قوله : فيكون كلًّا هذه أجزاؤه ؛ أي : ان أحد قوليهم : انه كالأعضاء في الصورة الحيوانية ، او كالقوى المعنوية في النفس ، فيكون كلًّا . وأجزاؤه : الاعضاء ، أو القوى . وعلى القول الثاني لهم : إنه كتكثر الأنواع في الجنس ، فتكون الموجودات جزئياته ، وهو كلي لها ، تعالى الله عما يقول الزائغون علواً كبيراً ، والأول نص «الفصوص» ، والثاني قول ابن سبعين ، ولكن عند العفيف التلمساني القولان من الأغلاط ، والكل عنده شيء واحد في نفسه ، وربما قالا مقالته ، أي : ابن سبعين ، وابن عربي ربما قالا مقالته ، وهو قد يقول قولهما ، نعوذ بالله من ذلك .

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيميه في كتابه المسمى ب « السبعينية » أقوال هؤلاء ، فذكر أن كلام صاحب « الفصوص » يدور على أصلين أحدهما : أن الأشياء كلها ثابتة في العدم ، مستغنية بنفسها ، نظير قول من يقول : المعدوم شيء ، لكن هذا لا يفرق بين ذات الخالق ، وذات المخلوق ، اذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذوات الممكنة ، وان كان قد يتناقض في ذلك قولهم ، فانهم كلهم يتناقضون ، وكل من خالف الرسل فلا بد أنه يتناقض . قال تعالى (إنكم لفي قول مختلف . يؤفك عنه من أفك) الذاريات : ٩،٨ وقال : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)) النساء : ٨٢

الأصل الثاني أن الوجود الذي لهذه الذوات الثابتة ، هو عين وجود الحق الواجب ، ولهذا قال في أول « الفصوص » في الشيثية : ومن هؤلاء يعني الذين لايسألون الله من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله ، هو ما كان عليه من حال ثبوت عينه قبل وجودها ، ويعلم ان الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به ، وهو ما كان عليه في حال ثبوته ، فيعلم علم الله به من أين حصل . وما ثم صنف من أهل الله أعلى وأكشف من هذا الصنف ، فهم الواقفون على سر القدر ، وهم على قسمين ، منهم من يعلم ذلك مجملاً ، ومنهم من يعلم ذلك مفصلاً ، والذي يعلمه مفصلاً أعلى وأتم من الذي يعلمه مجملاً ، فانه يعلم ما في علم الله فيه ، إما باعلام الله إياه بما اعطاه عينه من العلم به ، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة ، وانتقالات الأحوال عليها ، الى مالا يتناهى ، وهو اعلى ، فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به ، لأن الأخذ من معدن واحد ، هذا لفظه . وقد كشف شيخ الاسلام ابن تيمية عن مقالات رؤوس هؤلاء الاتحادية ، وأوضح كلام كل واحد منهم في رسالته الى الشيخ نصر المنبجي ، قال فيها : وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام ، فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع ، مثل فرعون والقرامطة ، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق ، وان وجود ذات الله خالق السموات والارض هي نفس وجود المخلوقات ، فلا يتصور عندهم أن يكون الله خلق غيره ، ولا أنه رب العالمين ، ولا أنه غني وما سواه فقير ، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق ، وأكثر من ينظر في كلامهم لايفهم حقيقة أمرهم ، لأنه أمر مبهم

الأول : أن يقولوا : إن الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم ، وإن ذاتها أبدية أزلية ، حتى ذوات الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، والحركات ،

والسكنات ، وان وجود الحق فاض على تلك الذوات ، فوجودها رجود الحق وذواتها ليست ذات الحق . ويفرقون بين الوجود والثبوت ، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك ، ويقولون : إن الله سبحانه لم يعط أحداً شيئاً ، ولا أغنى أحداً ، ولا أسعده ، ولا أشقاه ، وانما وجوده فاض على الذوات ، فلا تحمد إلا نفسك ، ولا تذم إلا نفسك . ويقولون : إن هذا هو سر القدر ، وان الله تعالى إنما علم الأشياء من جهة رؤيته لها ثابته في العدم ، خارجاً عن نفسه المقدسة ، ويقولون : إن الله تعالى لا يقدر أن يغير ذرة من العالم ، وأنهم قد يعلمون الاشياء من حيث علمها الله سبحانه فيكون علمهم وعلم الله تعالى من معدن واحد ؛ وأنهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه ، لأنهم يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسل ؛ ويقولون : إنهم لم يعبدوا غير الله ؛ ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى ؛ وان عباد الاصنام ماعبدوا إلا الله سبحانه ؛ وان قوله تعالى : (وقضى ربك ألاّ تعبدوا الا إياه) الاسراء: ٢٣ بمعنى حكم ؛ لا بمعنى أمر ، فما عبد غير الله في كل معبود ؛ فان الله تعالى ماقضى بشيء إلا وقع ؛ ويقولون : إن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعو ؛ فانه ما عدم من البداية فيدعى الى الغاية ؛ وان قوم نوح قالوا : لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ، لأنهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ماتركوا منهم ؛ لأن للحق في كل معبود وجهاً ، يعرفه من عرفه ، وينكره من أنكره ، وان التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة ؛ وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية ؛ وان العارف منهم يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد ، فان الجاهل يقول : هذا حجر وشجر ، والعارف يقول : هذا مجلى إلهي ، ينبغي تعظيمه ، فلا تقتصر ، وأن

النصارى إنما كفروا ، لأنهم خصصوا ، وان عباد الأصنام ما أخطؤوا إلا من حيث اقتصارهم على عبادة بعض المظاهر ، والعارف يعبد كل شيء ، والله أيضاً يعبد كل شيء ، لأن الأشياء غذاؤه بالأسماء والاحكام ، وهو غذاؤها بالوجود وهو فقير اليها ، وهي فقيرة اليه ، وهو خليل كل شيء بهذا المعنى .

ويجعلون أسماء الله الحسنى هي مجرد نسبة وإضافة بين الوجود والثبوت ، وليست إلا أموراً عدمية . ويقولون : من أسمائه الحسنى (العلي) . عن ماذا وما ثم الا هو ؟ وعلى ماذا وما ثم غيره ؟ فالمسمى محدثات ، هي العلية لذاتها . وليست إلا هو ، وما نكح إلا نفسه ، وما ذبح سوى نفسه ، والمتكلم هو عين المستمع ، وإن موسى إنما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل لضيقه وعدم اتساعه . وإن موسى كان أوسع في العلم ، فعلم أنهم لم يعبدوا إلا الله ، وأن أعلى ما عبد الهوى ، وأن كل من اتخذ إلهه هواه ، فما عبد إلا الله ، وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين ، وقد صدقه السحرة في قوله (أنا ربكم الأعلى) النازعات : ٢٤ وفي قوله : (ما علمت لكم من إله غيري) القصص : ٣٨ وكنت أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء وأقول : إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الصانع حتى حدثني بعض الثقات عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون ويقولون نحن على قول فرعون ، وهذه المعاني كلها هي قول صاحب « الفصوص » والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه ، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الاحياء منه والأموات ، ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

والمقصود أن هذا حقيقة ماتضمنه كتاب « الفصوص » المضاف اليه النبي ﷺ أنه جاء به ، وهو ما إذا فهمه المسلم ، علم بالاضطرار أن جميع

الأنبياء والمرسلين ، وجميع الأولياء والصالحين ، بل وجميع عوام أهـــل الملل من اليهود والنصارى والصابئين يبرؤون الى الله تعالى من بعض هذا القول ، فكيف منه كله ، ويعلم أن المشركين عباد الأوثان ، والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع الخـــالق البارىء المصور الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ، ربهم ورب آبائهم الاولين ، ورب المشرق والمغرب ، ولا يقول أحد منهم : إنه عين المخلوقات ، ولانفس المصنوعات كما يقوله هؤلاء ، حتى انهم يقولون لو زالت السموات والأرض زالت حقيقة الله ، وهذا مركب من أصلين ، أحدهما : أن المعدوم شيء ثابت في العدم ، كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة ، وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسنة والإجماع . وكثير من متكلمة أهل الاثبات كالقاضي أبي بكر ، كفر من يقول بهذا ، وانما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالأشياء قبل كونها ، وأنها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ ، وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى ، فان مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأشياء بعلمه القديم الأزلي ، وأنه سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها ، فيفرقون بين الوجود العلمي الكتابي وبين الوجود العيني الخارجي ، ولهذا كان أول ما نزل على رسول الله ﷺ سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم) العلق : ١ ــ ٥ فذكر المراتب الأربعة ، وهي الوجود العيني الذي خلقه ، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي الدال على العلمي ، وبين أن الله تعالى علمه ، ولهذا ذكر أن التعليم بالقلم ، فانه مستلزم للمراتب الثلاثه ، وهذا القول أعني قول من يقول : ان المعدوم شيء ثابت في نفسه ، خارج عن علم الله تعالى ، وان كان باطلا ، ودلالته واضحة ، لكنه قد ابتدع في

الاسلام من نحو أربعمائة سنة وابن عربي وافق اصحابه، وهو أحد أصلي مذهبه الذي في « الفصوص » .

والأصل الثاني أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ، ليس غيره ولا سواه ، وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء وهو قول بقية الاتحادية، لكن ابن عربي[١] اقربهم الى الإسلام وأحسن ، أما في مواضع كثيرة ، فانه يفرق بين الظاهر والمظاهر ، فيقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه ، ويأمر في السلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات ، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكه ، فينتفعون بذلك ، وان كانوا لا يفقهون حقائقه ، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبين قوله ، وأما صاحبه الصدر الرومي ، فإنه كان متفلسفاً ، فهو أبعد عن الشريعة والاسلام ، ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول : كان شيخي القديم متروحنا متفلسفاً ، والآخر فيلسوفاً متروحناً ، يعني الصدر الرومي ، فانه كان قد أخذ عنه ، ولم يدرك ابن عربي ، وهو في كتاب « مفتاح غيب الجمع والوجود » وغيره يقول : إن الله تعالى هو الوجود المطلق الساري في الكائنات ، فاذا تعين لم يقل : إنه هو ، ويفرق بين المطلق والمعين ، كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين ، والجسم المطلق والجسم المعين ، والمطلق لا يوجد في الخارج مطلقاً ، لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجة ، فحقيقة قوله أنه ليس لله سبحانه وجود أصلاً ولا حقيقة ، ولا ثبوت ، إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات ، ولهذا يقول هو وشيخه : إن الله تعالى لا يرى أصلاً ، وإنه ليس في الحقيقة اسم ولا صفة ، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة عين وجوده ، تعالى الله عما يقولون .

---

(١) في الأصل : ابن العربي ، وهو الطائي المعروف صاحب « الفصوص » و « الفتوحات المكية » والصواب تنكيره ، فرقاً بينه وبين ابن العربي القاضي المالكي صاحب « أحكام القرآن » و « العارضة » .

وأما الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم ، وأعمقهم في الكفر ، فانه لا يفرق بين الوجود والثبوت ، كما يفرق ابن عربي ، ولا يفرق بين المطلق والمعين ، كما يفرق الرومي ، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه ، وأن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوباً ، فاذا انكشف حجابه ، ورأى أنه ما ثم غير ، يتبين له الأمر ، ولهذا كان يستحل جميع المحرمات ، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول : البنت والأم والأجنبية شيء واحد ، ليس في ذلك حرام علينا ، وانما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام ، فقلنا حرام عليكم . وكان يقول : القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد في كلامنا ، وكان يقول : أنا ما أتمسك شريعة واحدة . واذا أحسن القول يقول : القرآن يوصل الى الجنة ، وكلامنا يوصل الى الله تعالى ، وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذي له ، وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء ، وشعره في صناعة الشعر جيد ، ولكنه كما قيل : لحم خنزير في طبق صيني ، وصنف للنصيرية عقيدة ، وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه . وأما ابن سبعين ، فانه في البدء والاحاطة يقول أيضاً بوحدة الوجود ، وأنه ما ثم غير ، وكذلك ابن الفارض في آخر نظم السلوك ، لكن لم يصرح ، هل يقول بمثل قول التلمساني ، أو قول الرومي ، أو قول ابن عربي ، وهو الى كلام التلمساني أقرب ، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ما كفره أحد قط مثل التلمساني ، وآخر يقال له : البلناني من مشايخ شيراز ، ومن أشعارهم .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه

وأيضـاً

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذائق

وأيضـاً

وتلتذ إن مرت على جسدي يدي لأني في التحقيق لست سواكم

وأيضـاً

ما بال عينك لا يقر قرارها والى م ظلك لا يني متنقـلا

فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا اليـك اذا بلغت المنزلا

وأيضـاً

ما الأمر الا نسق واحـد ما فيه من حمـد ولا ذم

وانما العادة قـد خصصت والطبع والشارع بالحكم

وأيضـاً

يا عاذلي أنت تنهاني وتـأمرني والوجد أصدق نهّاء وأمّار

فان أطعك وأعص الوجد نات عمى عن العيان الى أوهام أخبار

فعين ما أنت تدعوني اليه إذا حققته تره المنهي ياجار

وأيضـاً

وما البحر الا الموج لاشيء غيره وان فرقته كثرة المتعدد

إلى أمثال هذه الأشعار ، وفي النثر مالا يحصى ، ويوهمون الجهـال أنهم مشايخ الإسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الأمة ، مثل سعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وعمر بن عبد العزيز ، ومالك

ابن انس والأوزاعي ، وابراهيم بن أدهم ، وسفيان الثوري ، والفضيل بن عياض ، ومعروف الكرخي ، والشافعي ، وأبي سليمان الداراني ، وأحمد ابن حنبل ، وبشر الحافي ، وعبد الله ابن المبـــارك ، وشقيق البلخي ، ومن لا يحصى كثرة ، إلى مثل المتأخرين ، مثل الجنيد بن محمد القواريري ، وسهل ابن عبد الله التستري ، وعمرو بن عثمان المكي ، ومن بعدهم الى أبي طالب المكي . الى مثل الشيخ عبد القادر الكيلاني ، والشيخ عدي ، والشيخ ابي البيان ، والشيخ أبي مدين ، والشيخ عقيل ، والشيخ أبي الوفاء ، والشيخ رسلان ، والشيخ عبد الرحيم ، والشيخ عبد الله اليونيني ، والشيخ القرشي ، وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز ، والشـــام ، والعراق ، ومصر ، والمغرب ، وخراسان ، من الأولين والآخرين ، كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم ، فـإن الله سبحانه وتعالى ليس هو خلقه ، ولا جزءاً من خلقـه ، ولا صفة لخلقه ، بل هو سبحانه متميز بنفســه المقدسة ، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته ، وبذلك جاءت الكتب الأربعـة الإلهية ، من التوراة ، والانجيل ، والزبور ، والقرآن ، وعليه فطر الله تعالى عباده ، وعلى ذلك دلت العقول ، وكثيراً ما كنت أظن أنـ ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتــار ، واندراس شريعة الاسـلام ، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب الذي يزعم أنه هو الله ، فان هؤلاء عندهم كل شيء هو الله ، ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم ، أما على رأي صاحب « الفصوص » فان بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم ، لعظم ذاته الثابته في العدم ، وأما على رأي الرومي ، فان بعض المتعينات يكون أكبر ، فان بعض جزئيات الكلي أكبر من بعض ، وأما على رأي البقية ، فالكل أجزاء منه ، وبعض الاجزاء أكبر من بعض ، فالدجال عند

هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين ، وأكبر من الرسل بعد نبينا محمد ﷺ ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام ، فموسى قاتل فرعون الذي يدعي الربوبية ، ويسلط الله تعالى مسيح الهدى ـ الذي قيل فيه : إنه الله تعالى ، وهو بريء من ذلك ـ على مسيح الضلالة الذي قال : إنه الله ، ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي ﷺ قال : « إنه أعور » (١) وكونه قال : « واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » وابن الخطيب أنكر أن يكون النبي ﷺ قال هذا ، لأن ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال ، أبين من أن يستدل عليه بأنه أعور . فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية ، وتدبرنا ما وقعت فيه النصارى الحلولية ، ظهر سر دلالة النبي ﷺ لأمته بهذه العلامة ، فانه بعث رحمة للعالمين ، فاذا كان كثير من الخلق يجوز ظهور الرب في البشر ، أو يقول : إنه هو البشر كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلاً على انتفاء الآلهية عنه . وقد خاطبني قديما شخص من خيار أصحابنا كان يميل الى الاتحاد ثم تاب منه ، وذكر هذا الحديث ، فبينت له وجهه ، وجاء الينا شخص كان يقول : إنه خاتم الأولياء ، فزعم أن الحلاج لما قال : أنا الحق ، كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه ، كما يتكلم الجني على لسان المصروع ، وأن الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبي ﷺ ، كان من هذا الباب ، فبينت له فساد هذا ، وأنه لو كان كذلك كان الصحابة بمنزل موسى بن عمران ، وكان من خاطبه من هؤلاء أعظم من موسى ، لأن موسى سمع الكلام الإلهي من الشجرة ، وهؤلاء يسمعون من الحي الناطق ، وهذا يقوله قوم من الاتحادية ، لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق الذي يذهب اليه الفاجر التلمساني وذووه ، وبين الاتحاد المعين الذي يذهب اليه النصارى والغالية ، وقد كان سلف

---

(١) متفق عليه من حديث انس بن مالك رضي الله عنه.

الأمة وسادات الأئمة يرون كفر الجهميه أعظم من كفر اليهود ، كما قال
عبد الله بن المبارك ، والبخاري وغيرهما ، وانما كانوا يلوحون تلويحاً ، وقل
أن كانوا يصرحون بأن ذاته في كل مكان . وأماهؤلاء الاتحادية فانهم أخبث
وأكفر من أولئك الجهمية ، ولكن السلف والأئمة أعلم بالاسلام وبحقائقه ،
فان كثيراً من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة حتى يتدبرها ويرزق
نور الهدى ، فلما اطلع السلف على سر القول ، نفروا منه ، وهذا كما قال
بعض الناس : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتعبدة الجهمية يعبدون
كل شيء ، وذلك لأن متكلمهم ليس في قلبه تأله ولا تعبد ، فهو يصف
ربه بصفات العدم والموت . وأما المتعبد ففي قلبه تـأله وتعبد ، والقلب
لا يقصد إلا موجوداً ، لا معدوماً ، فيحتاج أن يعبد المخلوقات إما الوجود
المطلق ، وإما بعض المظاهر ، كالشمس والقمر ، والبشر ، والأوثان ، وغير
ذلك ، فان قول الاتحادية يجمع كل شرك في العالم ويعم ، ولا يوحدون
الله سبحانه وتعالى ، وانما يوحدون القـدر المشترك بينه وبين المخلوقات ،
فهم بربهم يعدلون . ولهذا حدث الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب الى
الهند ، وقال : إن ارض الإسلام لا تسعه ، لأن الهند مشركون يعبدون
كل شيء ، حتى النبات ، والحيوان ، وهذا حقيقة قول الاتحادية . وأعرف
ناساً لهم اشتغال في الفلسفة والكلام ، وقـــد تألهوا على طريق هؤلاء
الاتحادية ، فاذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا : ليس بكذا ، ليس
بكذا ، ووصفوه بأنه ليس هو المخلوقات ، كما يقوله المسلمون ، لكن يجحدون
صفات الاثبات التي جاءت بها الرسـل عليهم السلام ، واذا صار لأحدهم
ذوق ووجد له تأله ، وسلك طريق الاتحادية وقال : إنه هو الموجودات

كلها ، فاذا قيل له : إن ذلك النفي من هذا الاثبات ؟ قال ذلك عقدي ، وهذا ذوقي ، فيقال لهذا الضال : كل ذوق ووجد لايطابق الاعتقاد ، فأحدهما أو كلاهما باطل ، وإنما الاذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات ، فان علم القلب وحاله متلازمان ، فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والمحاك ، ولو سلك هؤلاء طريق الانبياء والمرسلين عليهم السلام الذين أمروا بعبادة الله وحده لاشريك له ، ووصفوه بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله ، واتبعوا طريق السابقين الأولين ، لسلكوا طريق الهدى ، ووجدوا برد اليقين ، وقرة العين ، فان الامر كما قال بعض الناس : إن الرسل جاؤوا باثبات مفصل ، ونفي مجمل ، والصابئة المعطلة جاؤوا بنفي مفصل ، واثبات مجمل . فالقرآن مملوء من قوله تعالى : (إن الله بكل شيء عليم) العنكبوت : ٦٢ و (على كل شيء قدير) الملك : ١ و (إن الله سميع بصير) الحج : ٧٥) ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً) غافر : ٧ ، وفي النفي (ليس كمثله شيء) الشورى : ١١ (ولم يكن له كفواً أحد) الصمد : ٤ (هل تعلم له سمياً) مريم : ٦٥ (سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين) الصافات : ١٨٠ ، ١٨١ انتهى المقصود منه . ونقل الحافظ الحجة شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » عن العلامة سيف الدين عبد اللطيف بن عبد الله السعودي الحنفي أنه رفع سؤالاً الى العلماء على رأس القرن السابع عن كتاب « الفصوص » لابن عربي ، ونصه : ماتقول السادة العلماء أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، عن كتاب بين أظهر الناس ، زعم مصنفه أنه وضعه وأخرجه للناس باذن النبي صلى الله عليه وسلم في منام ، زعم أنه رآه ، وأكثر كتابه ضد لما أنزل الله من كتبه المنزلة ، وعكس وصد عن

عن قول أنبياء الله المرسلة ؛ فمما قال فيـه : إن آدم عليـه السلام انما سمي انساناً لأنه للحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر . وقال في موضع آخر : إن الحق المنزه هو الخلق المشبه . وقال في قوم نوح عليه السلام : إنهم لو تركوا عبادتهم لود ؛ وسواع ؛ ويغوث ؛ ويعوق ؛ ونسر ؛ لجهلوا من الحق بقدر ماتركوا من هؤلاء ؛ ثم قال : فان للحق في كل معبود وجهاً ؛ يعرفه من عرفه ؛ ويجهله من جهله ؛ فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر ؛ حتى عبد ؛ وإن التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة ؛ ثم قال في قوم هود عليه السلام إنهم حصلوا في عين القرب ؛ فـزال مسمى جهنم في حقهم ؛ ففازوا بنعيم القرب من جهـة الاستحقاق ؛ فما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة ؛ وانما أخذوه بما استحقت حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها ؛ وكانوا على صراط الرب المستقيم ؛ ثم انه أنكر فيه حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب من سائر العبيد ؛ فهل يكفر من يصدقه في ذلك أو يرضى به منه أم لا ؟ وهل يأثم سامعه إذا كان بالغاً عاقلاً ولم ينكره بلسانه ؛ أو بقلبه ؟ أفتونا بالوضوح والبيان كما أخذ الميثاق والتبيان ؛ فقـد أضـر الاهمال بالضعفاء والجهال ، وبالله المستعان ؛ وعلى الله الاتكال ، أن يعجل للملحدين النكال لصلاح الحال ، وحسم مادة الضال . فأجاب عن هذا السؤال جهابذة الاسلام والعلماء الأعلام ، كالشمس محمد بن يوسف الجزري ، والحافظ الحجة سعد الدين الحارثي ، والشيخ نور الدين البكري ، والزواوي المالكي ، وشيخ الاسلام ابن تيميه ، والامـام نجم الدين محمد بن عقيـل البالسي ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بأجوبة طويلة كافيـة شافية ، ذكرها السخاوي رحمه الله،وتركناذكرها اختصاراً . ثم قال السخاوي رحمه الله تعالى: قرأت له ،

يعني السيف السعودي مصنفاً أفادنيه العلامة مفخر الزمان الامين أبو زكريا الأقصرائي الحنفي ، فسح الله في اجله ، وهو بخط أحمد بن آقش الشبلي ، جمعه السيف في شهور سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وسماه « بيان حكم ما في « الفصوص » من الاعتقادات المفسودة ، والاعتقادات الباطلة المردودة » التي من اعتقدها كفر ، ومن لم ينكرها أثم وخسر ، والاستدلال لصحة ذلك بالكتاب والسنة الواضحة عنه اهل المعرفة والفطنة ، ونسخ فتاوى أهل العلم والأئمة من أهل المراتب والحلم على اختلاف مذاهبهم ، واتفاق مطالبهم ، لنصرة دين الله ، واتباع رسوله الخاتم ، فمن خالفهم بعد ذلك فهو بالمخالفة ضال ظالم ، وافتتحه بقصيدتين من نظمه قافية الاولى على الهاء المكسورة ، مطلعها :

عجبت لمنكر إنكار قوم ... على منشي « الفصوص » ومفتريه

وهي تسعة وعشرون بيتاً ، والثانية أولها

فرض علينا اتباع نبينا ... بحقيقة منا وحكم جازم

وذكرها وهي سبعة وأربعون بيتاً . ثم قال : وهذه قصيدة ثالثة أوردها الناظم أثناء كتابه . وقال : إنه لقبها بـ « جلاء « الفصوص » على فهم كل تقي مخصوص » فقدمتها هنا .

تفنى المحابر دون شرح كلامه ... في وصف جرأته وفي إقدامه

من يستبيح بأن يقول تعمداً ... كذباً على الهادي بزور منامه

أقواله تنبي اللبيب بأنه ... كذب بلا شك لسوء مرامه

لولا الحليم بحلمه عم الورى فضلاً وجوداً ذاك من إنعامه
لاندكت الاجبال مما قاله في حق منشيه وفى علامـــه
اذ قـال فيه إنـه هو خلقـه والخلق يشمل ذكر كل هوامه
ويراه صورة كل شيء قد بدا وعيونه ووجود وصف قوامه
وهو المنعّم بالملاذ وضدها يتألم الوجدان من إيلامه
ويقول نحن غذاؤه بالحكم هل صمد يكون له غذا كطعامه
ما كل ماقد قال يمكن شرحه لقبيح مفهوم وثبت حرامـــه
جل المقدس والمعظم دائماً عن كل فهم جل عن إعظامه
هي فتنـة للامتحان بلية لبيان دين القوم عند كلامـه
فالمؤمنون المتقون تراهم قاموا لنصر الدين حق قيامه
غضبوا فلما يرضهم انكاره بالقول فيه كلائم لغلامه
لكنهم لو مكنوا لرأيتهم كلا مكان القول ضرب حسامه
للملحدين الزاعمين لوحـــدة فيها استباح القول نص حرامه
وعبادة الأصنام عرفـان لهم وبذاك كل سل من إسلامه
سجدوا ابماز عموا وإن لم يسجدوا مع كل ذي شرك لدى أصنامه
قاموا بكفر الكافرين بأسرهم قصداً وعقداً ثم في إبرامـه

ومصدق لهمْ بحكم مثلهم وسط الضلالة باتباع إمامه
قد حاز كل الاثم ممن قد مضى وله مزيد الكفل مع آثامــه
هذا نصيب رئيسهم وإمامهم في الورد اذ وردوا على أقدامه
من قال في أعداء نوح إنهم كانوا على حق وجوب لزامه
ولو استجابوا تاركي اصنامهم جهلوا حقائق فيه حق تمامــه
من قال في عـــاد بأنهم ثووا في عين قرب وسط دار سلامه
سلكوا الصراط المستقيم بجرمهم وبه استحقوا الجود من إكرامه
ما نيلهم للقرب منـه منة لكنه حق يرى بقيامه
من قال في حق الخليل بـأنـه لم يدر تعبيراً لحلم منامه
من بعد حصر صفات ذات قدست إثبات مالم يرتقي لمرامه
فأراد يذبح إبنه بتوهم ففداه رب العرش من أوهامه
من قال في اسماعيل مرضي له وكذاك مرضي جميع أنامه
هذا الكلام جميعه متناقض في الحكم معناه لدى فهّامه
من قال في فرعون ما قد قاله فهو البريء لديه من اجرامه
ويقول مات مطهراً في وقته من كفره حكماً ومن آثامه
علم الجهول بحكم مالم يبده موسى الرسول المصطفى لكلامه

وكذا النبي المصطفى لم يبده … بمقالة للنـــاس في إفهامــه
من قال في موسى الكليم بأنه … لما بــدا بعتابــه وخصامه
لأخيه هارون النبي معنفاً … لم لا اتسعت وذاك من افهامه
إن العبادة صادفت من قومه … في العجل عين الحق في اقسامه
لو كان ذلك لم يحرّق عجلهم … وبنسفه في اليم محو نظامـــه
من قال في أيوب جهل صبره … اذ لم يعجل باشتكاء سقامـــه
من قال ان عذاب خلد ذوقه … كنعيم خلد لذ في إلمامه
في حق كل الكافرين بأسرهم … والفرق رأي العين وصف قيامه
فعسى يكون نصيبه ما قاله … من وهمه يلقاه بعد حمامه
فيرى خلاف فساد وهم ظنونه … نزع الشوى منه وحطم عظامه
من جهل الرسل الكرام بأسرهم … بمقاله فيهم وسوء مســامه
فشهادتاه[1] هو الخداع وهكذا … حكم الصلاة وحكم وصف قيامه
يحمي به النفس الخبيثة خائفاً … من قتلها كفراً لدى حكامه
جهل الشرائع والحقائق كلها … هلك الذي والاه باستسلامه
خاب المقلد غير معصوم وقد … أبدى خلاف الحق في إيهامه
من كان متبع الرسول فحكمه … فيه كمعصوم لفضل امامــه

---

(١) في الاصل . فشهادتيه . وهو خطأ . والصواب ما أثبتناه .

من صد عنـــه مخالفـــاً بتعمد … أصماه راميه بوقـع سهامـــه
إبليس قوس الرمي هذا وصفه … وسهامه الأقوال من إلزامـــه
من نقص المختار ضل عن الهدى … في قوله فيه بنقص ختامـــه
ومقاله في إستقم لم يدر مـــا … منه المراد فشاب من إيهـــامه
ما شك قط المصطفى في قربه … وبسر عصمته علو مقامـــه
فيقول شاب لأنه لم يدر هل … قول استقم في الامر من اقسامه
ويقول في غير النبيّ بأنـه … ساوى الالــه بعلمه لدوامه
في حكم أقدار عليه مفصلاً … أبداً يحقق ذاك في أحكامه
من يستحق سواه ما قد قاله … في تابع إن صح من خدامه
من جهل الصديق فيما قاله … من عجز إدراك لعظم مرامه
هل بعد جملة ما ذكرت ضلالة … قد عم ظلمة من مضى بظلامـــه
أقوال ضد للشرائع كلها … ومخالف العلام في إعـــلامه
فعليه من غضب الاله بعلمه … ما يستحق بظنـــه وكلامه
وعلى مصدقه ومن يرضى به … أبداً يجدد مع مـــدى أيامه
واغفر لناظمها وكل موفق … لبيان وجـــه الحق باستلزامه
عبد اللطيف مراده في وضعها … تبيان لبس القول في اعجامه

لزوال وهم تخيل عن فهم من   قد صد ظناً منه في احجامه
لتابع الحق المبين بلا امترا   فينال فضل الجود من قسامه
فيهـــا نصيحة كل بر صالح   وعداوة المفتون مع اغمامه
وشفاء صدر سالم من غله   ومزيد ذي الإصمام من اصمامه
من صد عنها معرضاً متعللا   متوقفاً بالوهم مع أخصامه
دع مايقول وتابع الهادي الذي   تهدى به وتحل بين خيامه
فتصير مع أهل الخيام برملة   وتنال منه حقيقة لذمامـــه
فيها النجاة لكل عبد مسلم   فعليه من ربي دوام سلامه
وعلى النبي وآله مع صحبه[1]   علماء أصل الدين عقد نظامه
والحمد لله العظيم ختامها   حمداً وشكراً فهو من إلهامه
حمداً بدا من جوده اجزاوه   وعليه بالإفضال حكم تمامه
فيه الوصول لواصل لمراده   وبه تمسك واتقى بعصامه

ثم قال الناظم تمت الابيات مختصرة المعاني ، صحيحة المباني ، متضمنة اعتقاده ، ومبينة لكل لبيب فساده بذكر مازعمه وأراده . فلنورد مقدمات الفتاوى مع بيان ماأوجب ذلك من الكتاب والسنة بما هـــو ظاهر لذوي البصائر والفطنة ، ثم أجوبة العلماء التابعين لخاتم الانبياء بتكفير صاحب « الفصوص » والمصدق له فيما أورده من مخالفة النصوص ، وتحذير من لم

---

(١) في الاصل : وعلى نبيه مع آله وصحبه . ولا يستقيم به الوزن .

ينكره من الوقوع في المخالفة والمجنة ، وبيان أنه ممن أخطأ طريق الجنة الا إن كان غير عالم بما وجب عليه ، وندب من الله ورسوله إليـــه من القيام بالإنكار ، وابداء العداوة لأعداء الله الفجار ، قال : وكان الواجب لأخذ هـــذه الفتاوى ماقرره النبي ﷺ مما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث تميم الداري رضي الله عنه مرفوعاً « الدين النصيحة ؛ قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » فمفهوم مضمون هذا الحديث أنه لايحل لمسلم يسمع في حق الله مالا يليق بكماله ، وعظمته وجلاله أو يسمع من يلحد في آياته ، ويخوض في معاني كتابه العزيز بباطل تأويلاته ويحرفه عن مواضعه ، أو يخرجه في الاحكام عن مواقعه ، كتحليل حرامه أو تحريم حلاله ، أو تغيير كلامه ، أو مناقضة شيء من أحـــكامه ، أو يسمع من يتنقص رسله الكرام ، أو يرد قولاً من أقوال نبيه عليه السلام ، أو يغض من قدره بصريح لفظ معلوم ، أو بتلويح مشعر بذلك لأرباب الفهوم ، ثم يسكت إن أمكنه الكلام ؛ أويرضى به من أحد من الأنام إن وسعه السكوت . والنصيحة لأئمة المسلمين مفهومة بالمناصحة في الدين ، واعانتهم على مصالح المسلمين . وأمـــا النصيحة لعامتهم فبما يأمرهم بـه من المعروف ، وينهاهم عن المنكر ، والمساعدة والعون بما تصل إليـه القدرة مما حض الله ورسوله عليه ، ودفع ضرر الأديان أهم ، وهـو في النفع أخص ، وفي بذل النصيحة أعم ، ويؤيد المقصود في هـــذا المعنى مارواه مسلم في « صحيحه » أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ، قال « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من امته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعـــدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهـدهم بيده فهو

مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج) الحج:٧٨ الاية فقد ثبت وتعين وجوب الجهاد على أهل الإيمان في كل زمان ومكان ، وبذل الاجتهاد طلباً لرضوان رب العباد ، ولايصح لك شاهد الأجتباء إلا بوجود الغضب لله ، والمجاهدة في سبيله ديناً ومذهباً ، لكونه صار في الذمة حتماً مرتباً. وقال عز من قائل : (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم) المجادلة: ٢٢ الاية وقد علمنا أن الله سبحانه وتعالى قد شرط في صحة الإيمان به الكفر بالطاغوت ، لقوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) البقرة: ٢٥٦ فصار الكفر بالطاغوت شرطاً في صحة الإيمان بالله واجباً لايمكن وجود الإيمان الا بوجوده، وصاحب «الفصوص» زعم في التوحيد أن ترك عبادة الأصنام جهل ، وذا كاف لمن رد عليه . والسلام. وهذا هو الموجب للقيام ، وأخذ الفتاوى ليرتدع المشاقق والمناوىء بعد أن رأيت من يعتقد صحة مقاله ، ويزعم أنه حق ؛ فبادرت لبيان ضلاله ، وإثبات محاله ، فإن في قوله ذلك عدة أنواع من الكفر لمن ميزه واعتبره ، وأبدا ما أظهره خفي ما أضمره ، من رده نص محكم الكتاب ، وتصويبه الكفر السريع الانقلاب ، وتمييزه من تعاطاه على من انكره . وقد ثبت في الاحكام ، وشاع فهمه بين الأنام أنه ماعبد الأصنام إلا أَجهل الخلق اللئام ، ولا أنكره عليهم إلا أفضل الخلق ، وأعلمهم بالله ، أعني : الرسل الكرام ، والانبياء عليهم الصلاة والسلام . فانظر إلى هذا الإقدام ، والتجرىء على الله بما يخالف ملة الاسلام بل سائر الملل عند ذوي الأفهام ... الى أن قال بعد خطبة الكتاب : ولما

كملت المائـة السادسـة من الهجرة ظهرت مبادىء تلك الفترة بظهور من ينسب إلى العـلم والتصوف ممن أعطي في ألفاظـه نوعاً من التصرف ، لاكتسابه العلوم الفلسفية والطبيعية وغيرهما من العلوم التي لايرجى خيرها ، فتولد من هذه المركبات في الذهن عبارات ، وانواع إشارات بلسان يستغرب ، وعندغيرالعارف الذكي تستعذب ،وهي فاسدةالمعاني، واهيةالمباني مخالفة لظواهر النصوص ، معاكسة لقـول كل نبي مخصوص مع تحريفه تأويل ما يعتضد به من المنقول على حـكم اعتقاده في الوحدة ، أو الاتحاد والحلول ، وتزايد به الأمر حتى أقدم على المضادة ، وأظهرالمخالفة والمعاندة بمـا وضعـه في كتاب « الفصوص » المشارك له في وضعـه إبليس ، قصداً للتدليس ، واظـهاراً للتلبيس ، فأظهر الله بالتحقيق ذلك لذوي التوفيق ، فمن أعظم تحيلاته ، وكذبه على الله ، وافتئاته مازعمه في مقدمة الكتاب المذكور من البهتان والزور حيث قال إنـه رأى النبي ﷺ في المنام ، وبيده كتاب ، فقال له : هذا كتاب «فصوص الحكم» خذه وأخرجه إلى الناس ينتفعون به ، وأنه أخرجه كما حده له النبي صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولانقصان . فانظر الى هذا الخلل ، وظهور دلائل الزلل ، وذلك انه زعم أنه ناوله اياه وسماه له ، ولم يقل قرأته عليـه ، ولا انتبهت فوجدته في يدي ،فكيف عرف حـده وكل مافيه من قول ومعنى،من نظم ونـثر ، واستدلال بعلوم فلسفية وطبيعية وهندسية من العلوم التي لاتنسب إلى الحضـرة المحمدية ، وما فيها من الشعر ، فلا ينسب الى نبي ، ولا ملك ، ولا الى حضرة إلهية من مبادىء تجليات الحق سبحانه في المنام ولا غيره ، هذا اذا كان الشعر والكلام موافقاً لما جاءت به الرسل الكرام ، فظهرت دلائل كذبه فيما جعله لدفع الشبهة عنه من أقوى سببه ليلفت به اليه العوام ، ويصغي نحوه أهل البلادة بالإيهام ، فيحصل منهم عنه

فيما ينكرونه عليه الإحجام . وكان أول منكر بدأ بالانكار عليه ، وثبت كفره وكذبه لديه ، شيخ الإسلام ، ومفتي الانام عز الدين بن عبد السلام مع أنه ماالتصل بنا أنه وقف على كتاب « الفصوص » ومخالفته فيه لصريح أحكام الله في النصوص ، بل ذلك بما بلغه من فاسد أقواله ، وثبت عنده من مخالفة طرق أهل الحق في انتحاله . ثم تابعه في الانكار ، الشيخ الامام ، بركة الاسلام ، القطب القسطلاني تغمده الله برحمته ، واسكنه أعالي غرف جنته ، وحذر الناس من تصديقه ، وبين في مصنفاته فساد قاعدته ، وضلال طريقه في كتاب سماه بـ « الارتباط » ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط . ثم الشيخ الصالح العارف ، المحقق برهان الدين الجعبري ، قدس الله روحه بما نقلته عنه العدول ، بما هو مذكور عنه ومنقول ، ثم بعد ذلك تواتر الانكار من الصلحاء العباد ، والاتقياء الزهاد ، وأهل الورع من الأفراد ، بما لا سبيل لحصرهم ، ولا تفصيل ذكرهم ، إلى أن أقام الله في ذلك من أقام ، ونبه عليه الخاص والعام ، وأذهب عن المنكرين ببيانه الإحجام ، وأزال بتبيانه الشبهة عن الأوهام ، واستضاء اهل البصائر من أولي التوفيق بنور القرآن ، إذ علموا أن به يتضح الفرقان ، وان صحيح الأحاديث النبوية عمدة أهل العرفان ، وتحققوا أن من خالف الكتاب والسنة ، فقوله مردود ، وهو عن جناب الحق مبعود ، ومن صدقه ضل ، وعقد دينه بتصديقه انحل ، فنهضت عليه أنصار الحق من علماء الصدق بسيوف فتاويهم القاطعة ، وأنوار أدلتهم الساطعة لما سمعوا منادي الإسلام ينادي : الصلاة جامعة ، بصحيح عقد جازم للقيام بوجوب فرض لازم ، نصيحة لرب العالمين ، ونصرة لكتابه المبين ، وتأييداً لدينه الذي ارتضاه وأظهره على كل دين ، وانتصاراً لرسله الكرام وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام من كيد إلحاد الملحدين ممن جهل

الكفر إيماناً ، والجهل عرفاناً ، والشرك توحيداً ، والعصيان طاعة ، لا يستحق العاصي عليه وعيداً ، ولم يفرق بين عبادة الصنم والصمد ، بل عنده من سجد للصنم أعلى ممن كفر به وجحد ، فاصاب العلماء المفتون ، واستجابوا لداعي الحق بالصدق وهم منتصرون . ثم إني خشيت نسيان أقوال أهل الإرشاد واستمرار ما تقدم وصفه بين أظهر المسلمين من الفساد ، فاستخرت الله في كتابة فتيا متضمنة لنبذة من كلامه ، منبئة عن مفهوم معتقده الفاسد ومرامه ، ليشملها خطوط العلماء السادة الذين أورثهم الله بالعلم الخشية فاغتبطوا بالافادة ، فأسرعوا بالبيان والإيضاح والتبيان قياماً بما أخذ عليهم من الميثاق في بيانه للناس ، وهو في كل زمان فرض باق ، وكتب عليها كل من راقب الله وخشيه ، وامتنع من التبسه مخافة غيره وخشيه ، فالكاتب قد قام لله بلوازم فرضه ، والممتنع مسؤول عن ذلك يوم عرضه ، بل زعم أنه ترك ذلك خوف الفتنة من المخالفين ، فتلك محنة في الدين ، وكفى بالله رقيباً ، وعلى كل شيء حسيباً ، وهو الغني بعلمه ، المحيط عن أخبار المخبرين ، المطلع على سرائر الصامتين ، وضمائر المخبتين ، ثم كتب السؤال الماضي ذكره ، وساق ألفاظ المجيبين ، وهم : ابن جماعة الحارثي والجزري والكناني والبكري والزواوي والبالسي وقال : ولما تمت الفتاوى المذكورة ، المرقومة المسطورة ، قال لي بعض الفضلاء العقلاء ، الذين يقولون الحق ، ويعتمدون الصدق في النصح بين الخلق : لم لا سألت التقي ابن تيمية ، فإن غيرته في دين الله قوية ، ومعرفته بأقوال المبتدعين وفي ؟؟ . فقلت له : إنهم يزعمون أنه لهم غريماً ، وبمعاداتهم في دين الله موسوماً ، فقال : العالم لا يستخصم ، والحاكم العادل لا يستظلم ، والمفتي لا يكتب بقلمه الا ما يعتضد فيه بالكتاب والسنة ، بعد أن يعرض نفسه على النار والجنة ، ويعلم

انه مسؤول عما كتب ، إما في الدنيا من ذوي الحكم وأرباب الرتب،أو في الآخرة من الرب العظيم الذي يخشى ويرتقب، في يوم تجثو فيه الأمم على الركب، فبان لي وجه الصواب في قول القـائل ، وأضربت عن تأويل المعارض الجاهل ، وأرسلت إليه ، فبادر بالجواب ، ورفع الله عن قلبه في ذلك كل حجاب ، وما راعى غير الله فيما علم ، ولا أبقى ممكناً فيما إظهاره لزم ، ثم أورد الجواب ، وفيه طول تركناه اختصاراً ، ودعا له بالتأييد فيما يرومه من إظهار الحق للحق بالحق في الخلق ، ويقصده من قيامه ونصرته ، فإنه أشفى وما اشتفى ، وكف مظاهر الملحدين وما اكتفى ، فإن الغضب إذا كان لله لا يزول مده إلا بزوال موجبه ، ولكن المرجو من الله استئصال أهله وكتبه ، ثم ساق السيف عن ابي جعفر الطحاوي قوله في عقيدته المشهورة : إن الله تعالى مازال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً ، ليس منذ خلق الخلق استفاد الخالق ، ولا بإحداثه البرية استفاد الباري ، له معنى الربوبية ولا مربوب ، ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيى استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، وكذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ، ذلك أنه على كل شيء قدير ، وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير. فهذا فصل من عقائد المسلمين يتضمن بمعانيها ومفهوم ألفاظها ضده قول صاحب « الفصوص » اللعين. ثم قال الطحاوي فيها : إنه من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ، فكيف بصاحب « الفصوص » القـائل بأن الحق المنزه هو الخلق المشبه ، وأن العـالم صورته وهويته ؟! وغير ذلك ممـا تقدم ؟! ثم قـال الطحاوي : إن من رد حكم كتاب الله عز وجل ، فهو

من الكافرين ، وكم قد رد صاحب « الفصوص » من حكم الله من أصول الشرائع التي لا تنقض ولا تنسخ ، ككفر عباد الأنصام ، وضلال مخالفي الرسل ، وأنهم بمخالفتهم أعداء الله ، وأنهم أهل النار ، ولهم فيها الخزي ، والعذاب الشديد السرمد . وقال في الجنة والنار : إنها واحد في الذوق ، وانما التغاير في اللون ، هذه خضراء ، وتلك سوداء أو حمراء ، وإن الطائع ، والعاصي ، والمؤمن ، والكافر ، الكل مرضيون مستحقون الوعد ، وما ثم وعيد أصلاً . وقد قال الطحاوي في العقيدة المشار اليها : إن الأمن واليأس ينقلان عن الملة ، وإن اعتقاد عدم حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب غاية الأمن ، ونهاية الكفر ، نسأل الله السلامة . ثم نقل السيف عن الأوسي الحنفي في تصنيف له في الأصول ، أن من تكلم بكلمة الكفر ، فضحك غيره ، واستحسن ، كفر ، وكذا من وصف الله بما لا يليق به كفر ؛ ومن أنكر وعده أو وعيده كفر ، أو قال : الله في ست جهات ، أو قال : يوجد في كل مكان ، ومن عاب نبياً من الأنبياء ، أو صغر اسمه ، أو لم يرض بسنته ، أو سمع القول بأنه كان يحب القرع أو الحل ، فقال : أنا لا أحبه ، أو سخر بالشريعة ، أو بحكم من أحكامها ، أو قال : إن الخمر لم يثبت تحريمه بالقرآن ، أو صدق كلام أهل الأهواء ، أو قال : إنه كلام معنوي ، أوله معنى صحيح ، أو من يعرف أن الله يرحم الكافر ، أو الشيطان وأهل الأهواء ؛ فإنه يكفر بذلك كله ، فكيف بمن اعتقد ذلك في قوم نوح وقوم هود وفرعون ، وجعل كل كافر ، وفاجر ، وفاسق ، وعاص عند ربه مرضياً ؟! فعلى قائل ذلك ومعتقده اللعنة إن مات على اعتقاد ما وضعه في كتابه المذكور ، ثم نقل عن القاضي عياض قوله في « الشفاء » : اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي ﷺ ،

أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه، أو نسبه، أو دينه، أو خصلة من خصائله، أو عرض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له، فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب. يقتل كما بينته، ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب على هذا المقصد، ولا نمتري فيه تصريحاً كان أو تلويحاً. ونقل عن ابن عتاب أنه قال: الكتاب والسنة موجبان، إن من قصد النبي ﷺ بأذى، أو نقص، معرضاً أو مصرحاً وان قل، فقتله واجب. قال: وقد علمت تنقيص صاحب «الفصوص» للمرسلين والأنبياء تصريحاً لا تلويحاً، وأورد من كلامه قوله: وأما العارفون بالأمر على ما هو عليه، فيظهرون صورة الانكار لما عبد من الصور، لأن مرتبتهم في العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت بحكم الرسول الذي آمنوا به عليهم، الذي به سموا مؤمنين، فهم عباد الوقت مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانها، وإنما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم، وجهله المنكر الذي لاعلم له بما تجلى، فيا أهل العلم والمتقين من أولي الفهم، معلوم باجماع المسلمين من المتقدمين والمتأخرين، واليهود والنصارى، أن ما عبد الأصنام وغيرها من الأوثان على اختلاف أصناف ما عبدته الكفار إلا أجهل الناس في كل زمان، وما أنكره عليهم سوى المرسلين والأنبياء، ومن تبعهم من الصديقين، وصالح المؤمنين الموفقين، وقد عمم هذا الضال بهذه المقالة تنقيص الجميع، ونسبهم الى الجهل وعدم الفهم، وأثبت لعباد الأصنام والأوثان الاصابة والمعرفة بالله،

فعليه إن مات عليـــه وكان[1] معتقده لعنة الله وغضبه والناس أجمعين انتهى كلامـــه .

أقـــول : ماذكرناه عن هؤلاء الأئمة عن ابن عربي وأتباعـــه من الشناعات والكفريات ، قليـل من كثير ، وغيض من فيض ، وينبغي أن تعلم أن ابن عربي ونحوه لايتجاسرون على إعـــلان هذه الكفريات ، وإنما يدسونها دساً في كتبهم ، لأن الاسلام قد بقيت منـــه بقية ، والعلماء والسلاطين قائمون في نحر من يبدي شيئاً من هذه الضلالات ، فلما ضعف الاسلام ، وانحلت عراه ، واشتدت غربته ، صار هؤلاء الأبالسة[2] لا يتحاشون من إطلاق هذه الكفريات ، وصار كثـير من الخواص واكثر العوام يعتقدون فيهم أنهم صفوة الأولياء وخلاصة الاتقياء ، فـلا تسأل عما أحدثه هؤلاء الطواغيت ، وان شئت فانظر كتاب « الانسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي ، ترى مافيه من الطامات ، والامور الفظيعة ، والقبائح الشنيعة ، فالله المستعان .

وقول الناظم رحمه الله تعالى :

قالوا ولم يك كافراً في قوله   أنا ربكم فرعون ذو الطغيان

أقول : قال ابن عربي في « الفصوص » لما كان فرعون في منصب الحكم صاحب السيف ، وإن جـاز في العرف الناموسي لذلك ، قال : أنا ربكم الأعلى ؛ أي : وان كان الـكل أرباباً نسبة ما ، فأنا أعلى منـكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم ، ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أقروا له وقالوا (اقض ماأنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) طه: ٧٢ فصح قول

---

(١) في الاصل : كذا .

(٢) في الاصل : الابليسة . والمعهود في كتب اللغة ان جمع ابليس أباليس ، وأبالسة .

فرعون : أنا ربكم الاعلى ، فكان فرعون عين الحق . وقد صنف الشيخ محمد سعيد الدواني المدني مصنفاً في إيمان فرعون متابعة لابن عربي ، وقد رد عليه العلامة الملا علي بن محمد القاري الهروي ، برسالة سماها « فرالعون عن مدعي إيمان فرعون » أجاد فيها وأفاد ، جزاه الله خيراً . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في جواب له عن هؤلاء الوجودية بعد أن حكى عنهم القول بإيمان فرعون قال : وهذا القول كفر ، معلوم فساده بالاضطرار من دين الاسلام ، لم يسبق ابن عربي اليه فيما أعلم أحـــد من أهل القبلة ، ولا من اليهود ولا من النصارى ، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون ، وهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل ، فانه لم يكفر أحد بالله ويدعي لنفسه الربوبية والآلهية مثل فرعون ، وأطال الكلام .

قوله : ولقد رأى ابليس عارفهم الخ . . لم أقف على اسم هذا العارف ولعله ابن عربي ، والله اعلم .

قوله : ثغرة الطعان . الثغرة : نقرة النحر بين الترقوتين ، قالـــه في « القاموس » وممن جاهد أتباع هؤلاء الملاعين حق الجهاد ، وبلغ جهده في قمع أهل الزندقة والالحاد ، العلامـة شرف الدين أبو محمد إسماعيل ابن أبي بكر بن عبد الله بن المقري الشافعي صاحب « عنوان الشرف » و « مختصر الحاوي » و « الروضة » وغيرهما من التصانيف البديعة ، فانه قام في تقبيح ابن عربي وأتباعه أتم قيام ، وصار ينظم القصائد الحسان في ذكر قبائح المنتمين الى هذا المذهب ، والانتصار عليهم بالعلماء والسلطان ، وأفرد من « الفصوص » ، كراسة وقف عليها الفقهاء والعلماء ، وأكثر من النظم في ذلك نظماً رائقاً يرسخ بسماعه الايمان في قلوب المؤمنـــين ، وتنسجم به

عبرات المحبين لشرائع النبيين ، وتتزلزل به أقدام المبتدعــين ، وانتشرت قصائده ، وظهرت بها فضائحهم عند أهل تهامة وأهل الجبال ، اذ نقلت الى الامام علي بن صلاح بصنعاء ، ونظم بعض فقهاء الأشـراف على نحو نظمه شكراً له وتحريضاً ، فشاع في الناس تكفير من يتدين بمذهب ابن عربي من الوصفية بـ : زبيد . وقال التقي الفاسي : انه حدثه من حال ابن عربي بما لم يبينه غيره ، لأن جماعة من صوفية زبيد أوهموا من ليس له كبير نباهة علو مرتبة ابن عربي ، ونفي العيب عن كلامه ، قال : وقد ذكر ذلك ابن المقري مع شيء من حال المتصوفة المشار اليهم في قصيدة طويلة من نظمه ، وهي على قافية الراء المكسورة ، وقد سماها ناظمها « الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغــة » وهي مائتان وثلاثة واربعون بيتاً ، موجودة في ديوانه وله قصيدة أخرى يحض فيها سلطان اليمن على نصر السنة ، وخذلان هذه الطائفة ، وهي إحدى وأربعون بيتاً . وصنف رحمه الله تصنيفـين في هذا المعنى ، سمى أحدهما « النصيحة » والآخر « الذريعـة الى مـكارم الشريعة » قال الحافظ السخاوي في « القول المنبي » وقـد قال ابن المقري في الردة من كتاب « الروض » مختصر « الروضة » من تردد في تـكفير اليهود والنصارى وابن عربي وطائفته فهو كافر ، وقد ترجم له ابن قاضي شهبة في « طبقات الشافعية » وقال بعد أن بالغ في مدحه : ناظر أتباع ابن عربي حتى عميت منهم الأبصار ، ودمغهم بما بلغ حجة في الافـكار . انتهى.

قوله نص « الفصوص » هو كتاب لابن عربي الطائي المشهور ، وهو محمد بن علي بن محمد أبوبكر الحاتمي الطائي ، ولد بمرسية سنة ستين وخمسمائة ، ونشأ بها ، وانتقل الى اشبيلية سنة ٥٧٨ (١) ثم ارتحـل وطاف البلدان ،

---

(١) في الاصل : سنة ٧٨ ، ولعلها ٥٧٨ كما اثبتناه لأن وفاته كانت سنة ٦٣٨ .

فطوف بلاد الشام ، والروم ، والمشرق ، ودخل بغداد ، وحدث بها بشيء من مصنفاته ، وله التآليف الكثيرة ، توفي في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٨ ثمان وثلاثين وستمائة بدمشق في دار القاضي محي الدين بن الزكي ، وحمل الى قاسيون فدفن في تربته المعلومة ، وهو صاحب المقالات الشنيعة ، والكفريات الفظيعة ، أسأل الله العافية . وقد صنف العلماء قديماً وحديثاً في الرد على « الفصوص » وصاحبه ، فمن ذلك كتاب « أشعة النصوص في هتك استار الفصوص » للشيخ الامام الأوحد أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميين ، وكتاب « تسورات النصوص على تهورات الفصوص » للشيخ الامام شمس الدين محمد بن محمد العيزري تلميذ التاج السبكي ، والعلامة الملا علي بن محمد القاري والحافظ جمال الدين ابن الخياط اليمني ، والفقيه محمد بن علي المعروف بابن نور الدين الموزعي اليماني ، وغيرهم . وقال العلامة سيبويه زمانه ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن هشام الانصاري النحوي صاحب « المغني » و « التوضيح » وغيرهما لما وقف على « الفصوص » ما نصه :

هذا الذي بضلاله ضلت أوائل مع أواخر
من ظن فيه غير ذا فليناً عني فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظلم ، ونقيض الحكم ، وضلال الأمم ، كتاب يعجز الذام عن وصفه ، وقد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، لقد ضل مؤلفه ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراناً مبيناً ، لأنه مخالف لما أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه ، وفطر عليه خليقته ، وذلك أني لما وقفت على هذا الكتاب ، وجدته قد عقد لكل نبي من الانبياء فصاً ، فوقفت على فص

نوح عليه السلام ، فقال فيه : لو قال بدل قوله : (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) الى آخر كلامه : ادعوا ربكم ليكشف لكم الحجاب ، لأجابوه . انتهى . وقد أدرجه العيزري فيمن كفره ، وذكر الحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن العربي » وهو مجلد عن الحافظ الجهبذ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي أنه قال بعد كلام حكاه عن ابن عربي بعد حكايته : استغفروا الله ، وحاكي الكفر ليس بكافر ، ثم حكى عن الذهبي كلامه في ابن عربي في « العبر » و « الميزان » ... الى ان قال الذهبي : ومن أمعن النظر في « فصوص الحكم » وأنعم التأمل ، لاح له العجب ، فان الذكي إذا تأمل من ذلك الاقوال والنظائر والأشباه ؛ فهوأحد رجلين ؛ اما من الاتحادية في الباطن ؛ وإما من المؤمنين بالله الذين يعدون هذه النحلة من أكفر الكفر ، نسأل الله العافية ، وأن يكتب الايمان في قلوبنا ؛ وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فوالله لأن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر لايعرف من العلم شيئاً سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات ؛ ويومن بالله واليوم الآخر ، خير له بكثير من هذا العرفان ، وهذه الحقائق ، ولو قرأ مائة كتاب ، أوعمل مائة خلوة . وقال الذهبي في ترجمة علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري من « تاريخه الكبير » بعد أن نقل كلاماً للسيف بن المجد فيه : رحم الله السيف بن المجد ، ورضي الله عنه ، فكيف لو رأى كلام الشيخ ابن عربي[1] الذي هومحض الكفروالزندقه ، لقال : انهذا الدجال المنتظر ، ولكن كان ابن عربي منقبضاً عن الناس ، انما يجتمع به آحاد الاتحادية ، ولا يصرح بأمره لكل أحد ، ولم تشتهر كتبه الا بعد موته

---

(١) في الاصل : ابن العربي ، والصواب ابن عربي ، فرقاً بينه وبين ابن العربي القاضي المالكي .

بعدة . ولهذا تمادى أمره ، فلما كان على رأس السبعمائة ، جدد الله لهذه الأمة دينها بهتكه ، وفضيحته ، ودار بين العلماء كتابه « الفصوص » وقد حط عليه الشيخ القدوة الصالح ابراهيم بن معضاد الجعبري ، فيما حدثني به شيخنا ابن تيمية عن التاج البونباري ، أنه سمع الشيخ ابراهيم يذكر ابن عربي قال : كان يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً ، وساقه الذهبي في موضع آخر عن الجعبري بغير اسناد . قلت : ورأيت في جواب لشيخ الاسلام رحمه الله تعالى عن سؤال سئل فيه عن بيان حقيقة مذهب الاتحادية ، قال : حدثني تاج الدين البونباري الفقيه المصري الفاضل ، أنه سمع الشيخ ابراهيم الجعبرى يقول : رأيت ابن عربي شيخاً مخضوب اللحية ، وهو شيخ نحس ، يكفر بكل كتاب أنزله الله ، وبكل نبي ارسله الله ، قال : وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم أنه قـال : كنت وأنا شاب بدمشق أسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسروشاهي ، إن كلاهما زنديق ، أو كلاماً هذا معناه . وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين البونباري أنه سمع الشيخ العارف ابراهيم الجعبري يقول : رأيت في منامي ابن عربي ، وابن الفارض ، وهما شيخان اعميان ، يمشيان ويقرآن ، ويقولان : كيف الطريق ؟ أين الطريق؟ وحدثني شهاب الدين بن مري ، عن شرف الدين ابن الشيخ نجم الدين ابن الحكم عن أبيه أنه قال : قدمت دمشق ، فصادفت موت ابن عربي فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد ، فرأيتها لا تشبه جنائز الاولياء ، أو قال فعلمت ان هذه أو نحو هذا ، وعن أبيه عن الشيخ عن اسماعيل الكوراني أنه كان يقول : ابن عربي شيطان . ونقل الذهبي عن القدوة العارف العلامة شيخ الوقت ابراهيم الرقي أنه حذر من « الفصوص » وقال في موضع آخر : وممن حط عليه وحذر من كلامه الشيخ القدوة الولي ابراهيم الرقي . قال السخاوي :

ثم ظفرت في ترجمة محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحنبلي من « تاريخ الاسلام » نقلاً عن الرقي أنه قال في كلام ابن عربي ، وابن الفارض ، مثله مثل عسل أديف فيه سم ، فيستعمله الشخص ويستلذ بالعسل وحلاوتــه ، ولايشعر بالسم ، فيسري فيه وهو لايشعر ، فلا يزال فيه حتى يهلكه. قال السخاوي : وكذا قال شيخنا المحب البغدادي الحنبلي فيما سمعه من البدر الدميري عن ابن الفارض أنه أخذ شهداً أدخل فيه سماً. قال السخاوي : أنبأني العز ابو محمد الحنفي رحمه الله عن الصلاح أبي الصفا خليل ابن إيبك الصفدي أنه سمع الحافظ ابن سيد الناس يقول : سمعت ابن دقيق العيد يقول : سألت ابن عبد السلام عن ابن عربي فقال : شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ، ولايحرم فرجاً انتهى. وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : قال الفقيه أبو محمد بن عبد السلام لما قدم القاهرة وسألوه عنه فقال : هو شيخ سوء كذاب ، مقبوح ، يقول بقدم العالم ، ولايحرم فرجاً. وقال ابن مرزوق : حدثني غير واحد من أشياخنا عن شيخهم ، عز الدين بن عبد السلام أنه قال فيه : شيخ سوء كذاب ، وذكر ماسمعه مما يقتضي كذبه ، وأفتى هو وابن الحاجب بتكفيره. انتهى. قال السخاوي : أخبرناه باختصار أبو محمد اللخمي بمكة مشافهة. قال : أنبأ والدي أبو اسحق عن الحافظ ابي الفتح اليعمري فيما وجد بخطه قال : سمعت الامام الحافظ الزاهد العلامة أبا الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري يقول : سمعت شيخنا الامام أبا محمد بن عبد السلام ، وجرى ذكر ابي عبد الله محمد بن عربي فقال : شيخ سوء مقبوح كذاب. فقلت له : وكذاب أيضاً ؟ قال : نعم ، تذاكرنا يوماً بمسجد الجامع بدمشق التزويج بجواري الجن ، فقال : هذا فرض محال ، لأن الإنس جنس كثيف ، والجن روح لطيف ، ولن يعلو

الجسم الكثيف الروح اللطيف ، ثم بعد قليل رأيته وبه شجة ، فسألته عن سببها ، فقال : تزوجت امرأة من الجن ، ورزقت منها ثلاثة أولاد ، فاتفق أن تفاوضنا ، فأغضبتها ، فضربتني بعظم حصلت منه هذه الشجة ، فانصرفت فلم أرها بعد هذا ، أو معناه . وقال الشمس ابن الجزري شيخ القراء : حدثني شيخنا الامام المصنف شيخ الاسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين بن ابي عمر ابن كثير من لفظه غير مرة قال : حدثني شيخ الاسلام العلامة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، قال : حدثني الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ قاضي القضاه علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي قال: حدثني شيخ الاسلام قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد القائل في أواخر عمره: لي أربعون سنة ماتكلمت بكلمة إلا وأعددت لها جواباً بين يدي الله تعالى ، قال : سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين ابا محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي عن ابن عربي قال : شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً ، ثم قال ابن الجزري : كذا حدثني شيخنا ابن كثير من لفظه ، ورأيت ذلك في كلام الشيخ تقي الدين السبكي وفيه زيادة رواها بعضهم عن ابن عبد السلام ، وهي أنه وقع بيني وبينه يوماً كلاماً في وجود الجن ، فأنكر وجودهم ، ثم رأيته بعد ذلك فقال : رجعت عن ذلك القول ، واني قد تزوجت بجنية وولدت لي وغضبت علي يوماً فشجتني في وجهي ، وهذه الشجة منها ، وأشار الى وجهه انتهى . قال الذهبي : وممن أفتى بأن كتابه « الفصوص » فيه الكفر الاكبر قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، وقاضي القضاة سعدالدين مسعود الحارثي والعلامة زين الدين عمر بن أبي الحزم الكناني ، وجماعة سواهم. قال الذهبي :

ولقد اجتمعت بغير واحد ممن كان يقول بوحدة الوجود ثم رجع وجدد إسلامه ، وبينوا أن مقاله هؤلاء : إن الوجود هو الله تعالى ، وانه تعالى يظهر في الصورة المليحة والأشياء البديعة ، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً . وقال العلامه أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي في تفسير سورة (المائدة) من كتابه « البحر المحيط » عند قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) المائدة : ٧٢ ومن بعض اعتقادات النصارى ، استنبط بعض من تستر بالاسلام وانتمى الى الصوفية ، حلول الله تعالى في الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحدتهم الى القول بالاتحاد والوحدة ، كالحلاج ، والشوذي ، وابن أجلى ، وابن عربي المقيم بدمشق ، وابن الفارض ، وأتباع هؤلاء ، كابن سبعين ، والششتري تلميذه ، وابن مطرف المقيم بـ « مرسية » والصفار المقتول بـ « غرناطة » وابن لباح ، وأبو الحسن المقيم كان بـ « لورقة » وممن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني ، وله في ذلك أشعار كثيرة. وابن عياش المالقي الأسود الأقطع ، المقيم كان بـ « دمشق » وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بـ « صعيد مصر » والأيكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بـ « خانكان سعيد السعدا » بالقاهرة من ديار مصر ، وأبو يعقوب بن مبشر ، تلميذ الششتري المقيم كان بـ « حارة زويلة » بالقاهرة ، وانما سردت أسماء هؤلاء نصحاً للدين ، يعلم الله ذلك ، وشفقة على ضعفاء المسلمين ليحذروهم ، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسوله ، ويقولون بقدم العالم ، وينكرون البعث ، وقد أولع جماعة ممن ينتمي الى التصوف بتعظيم هؤلاء ، وادعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه ، والأمر فيهم كما ذكرت ، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة ، هو من علم أصول الدين . انتهى .

وقال السخاوي في « القول المنبي » نقلاً عن شيخ الاسلام سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي : وقرأت بخطه على فتيا أيضاً مانصه : لم يكن هذا الفاجر المذكور يعني ابن عربي ، على الكتاب والسنة بل كان مخالفاً ، ولايحل اعتقاد عقيدته ، ولا العمل بما يأتي به من الباطل ، وليس لكلامه ومعتقده الفاسد تأويل يقتضي موافقة الكتاب والسنة ، ومن اعتقد عقد الباطل ، أو تمسك به ، فليس على طريق الحق ، بل هو على طريق الباطل ، فيلزم من اعتقد ذلك ،أو تمسك به ،أن يتوب الى الله تعالى من كفره وإلحاده وزندقته ، فان تاب والا ضربت عنقه لزندقته . وقد كتبت على ذلك كراريس بالقاهرة ودمشق ، بينت فيها أنه أتى بأنـــواع من الكفر والالحاد والزندقة ، ولم يأت بها غيره ، فنعوذ بالله من طريقة هذا الشيطان ، ومن طريقة من اتبعه ، وأن يجنبنا ما ابتدعه ، والحال ماذكر ، والله تعالى أعلم بالصواب .

قال السخاوي : وسمعت شيخنا حافظ العصر ، فريد الدهر ، الشهاب أبا الفضل ، أحمد بن محمد العسقلاني المصري الشافعي المعروف(١) بابن حجر ،سمعته يقول مراراً :إنه جرى بيني وبين شخص يقال له :ابن الأمين من المحبين لابن عربي منازعة كبيرة في أمر ابن عربي ،حتى نلت من ابن عربي لسوء مقالته ، فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في امره ، وكان بمصر شيخ يقال له : الشيخ صفا ، يعتقده الظاهر برقوق ، فهددني المذكور بأنه يغريه بي فيذكر للسلطان أن بمصر جماعة منهم فلان يذكرون الصالحين بالسوء ، ونحو ذلك فقلت : ما للسلطان في هذا مدخل ، لكن نتباهل أنا وإياك في امره ، لأنه

---

(١) في الاصل : عرف

قل ما يتباهل اثنان فكان أحدهما كاذباً إلا وأصيب ، فأجاب للمباهلة . قال شيخنا فقلت له : قل : اللهم إن كان ابن عربي على ضلال فالعني بلعنتك ، فقال ذلك ، وقلت أنا : اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك ، وافترقنا . قال : وكان يسكن الروضة : فاستضافه شخص من أبناء الجند جميل الصورة ، فحضر عنده لضيافتـــه ، ثم بدا له عدم المبيت عنـده ، وخرج في أول الليـــل ، وصحبه من يشيعه الى الشختور ، فلما رجع أحس بشيء مر على رجله ، فقال لأصحابه : مر على رجلي شيء ناعم ، فانظروا ، فلم يروا شيئاً ، وما رجع إلى منزله الا وقـــد عمي بصره ، وما أصبح الا ميتاً ، وكان ذلك في ذي القعدة ، سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وكانت المباهلة في رمضان منها . قال : وكنت عند وقوع المباهلة ، عرفت من حضر ، أن من كان مبطلاً في المباهلة ، لا تمضي عليه السنة . انتهى . وقد حكاها القاضي التقي الفاسي في تصنيفه فقـــال : سمعت الحـــافظ شهاب الدين ابن حجر ، وذكر معناها ، وأنه كتبها له بخطه . قلت : وأحوال هذا الرجل ، وما أظهر من الكفريات والضلالات والزندقة كثير شهير ، ومن أراد استقصاء ذلك ، فليطالع كتاب « القول المنبي عن ترجمة ابن عربي » وفيما ذكرناه كفاية . ولقد أحسن العلامـــة شرف الدين أبو محمد اسماعيل ابن أبي بكر المقري اليمني الشافعي رحمه الله تعالى حيث يقول في منظومته الرائية التي سماها « الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة »

فقد حدثت في المسلمين حوادث كبار المعاصي عندها كالصغائر

حوتهن كتب حارب الله ربها وبها عز من عزيين الحواضر

تجاسر فيها ابن العوابي (١) واجترى | على الله فيما قال كل التجاسر
فقال بأن الرب والعبد واحد | فربي مربوب بغير تغاير
وأنكر تكليفاً إذ العبد عنده | إله وعبد فهو إنكار جائر
وخطأ إلا من يرى الخلق صورة | وهوية لله عند التناظر
وقال يحل الحق في كل صورة | تجلى عليها فهي احدى المظاهر
وأنكر أن الله يغني عن الورى | ويغنون عنه لاستواء المقادر
كما ظل في التهليل يهزا بنفيه | وإثباته مستجهلا للمغاير
وقال الذي ينفيه عين الذي أتى | به مثبتاً لا غير عند التحاذر
فأفسد معنى ما به الناس أسلموا | وألغاه الغابينات التهاتر
فسبحان رب العرش عما يقوله | أعاديه من أمثال هذي الأكابر
وقال عذاب الله عذب وربنا | ينعم في نيرانه كل فاجر
وقال بأن الله لم يعص في الورى | فما ثم محتاج لعاف وغافر
وقال مراد الله وفق لأمره | فما كافر إلا مطيع الأوامر
وكل امرىء عند المهيمن مرتضى | سعيد فما عاص لديه بخاسر

---

(١) يريد ابن عربي الطائي صاحب « الفصوص » وغيرها المليئة بالطامات. والاصل تنكيره (ابن عربي) وعرف ومد لضرورة الشعر .

وقال يموت الكافرون جميعهم		وقد آمنوا غير المفاجي المبادر
وماخص بالايمان فرعون وحده		لدى موته بل عم كل الكوافر
فكذبه ياهذا تكن خير مؤمن		وإلا فصدقه تكن شر كافر
وأثنى على من لم يجب نوح اذدعا		الى ترك ود أو سواع وناسر
وسمى جهولا من يطاوع أمره		على تركها قول الكفور المجاهر
ولم ير بالطوفان إغراق قومه		ورد على من قال رد المناكر
وقال بلى قد أغرقوا في معارف		من العلم والباري لهم خير ناصر
كما قال فازت عاد بالقرب واللقا		من الله في الدنيا وفي اليوم الاخر
وقد أخبر الباري بلعنته لهم		وإبعادهم فاعجب له من مكابر
وصدق فرعون وصحح قوله		أنا الرب الاعلى وارتضى كل سامر
وأثنى على فرعون بالعلم والذكا		وقال لموسى عجلة المتبادر
وقال خليل الله في الذبح واهم		ورؤيا ابنه تحتاج تعبير عابر
ويعظم أهل الكفر والانبياء لا		يعاملهم الا بحط المقادر
ويثني على الاصنام خيراً ولا يرى		لها عابداً ممن عصى أمر آمر
وكم من جراآت على الله قالها		وتحريف آيات بسوء تفاسر
ولم يبق كفر لم يلابسه عامداً		ولم يتورط فيه غير محاذر

وقال سيأتينا من الصين خاتم	من الأولياء الأولياء الاكابر
له رتبة فوق النبي ورتبـــة	له دونه فاعجب لهذا التنافر
فرتبته العليا يقول لأنـــه	من التابعيه في الامور الظواهر
وقال اتباع المصطفى ليس واضعاً	لمقداره الأعلى وليس بحاقر
فانـ يدن عنه لاتباع فانه	يرى منه أعلام من وجوه أواخر
ترى خال نقصاً في (جوب)[1] اتباعه	لأحمد حتى جا بهذي المعاذر
فلا قدس الرحمن شخصاً يحبه	على ما يرى من قبح هذي المخابر
وقال بأن الانبياء جميعهم	بمشكاة هذا تستضيء في الدياجر

الى أن قال :

فهل أبصرت يا ابن الاحاير
بأكذب من هذا وأكفر في الورى	وأجرى على غشيان هذي البواطن
فلا يدعي من صدقوه ولاية	وقد ختمت فليؤ خذوا بالاقادر
فيا لعباد الله ما ثم ذو حجى	لـه بعض تمييز بقلب وناظر
اذا كان ذو كفر مطيعاً كمؤمن	ولا فرق فينا بين بر وفاجر
كما قال هذا إن كل أوامر	من الله جاءت فهي وفق المقادر
فلمْ بعثت رسل وسنت شرائع	وأنزل قرآن بهذي الزواجر

---

(١) زيادة لم تكن في الاصل . ولا يستقيم الوزن بدونها .

أيخلع منكم ربقة الدين عاقل   لقول غريق في الضلالة حائر
ويترك ما جاءت به الرسل من هدى   لاقوال هذا الفيلسوف المغادر
فيا محسني ظن بما في «فصوصه»   ومافي «فتوحات الشرور» الدوائر
عليكم بدين الله لا تصبحوا غداً   مساعر نار قبحت من مساعر
فليس عذاب الله عذباً كمثل ما   يمنيكم بعض الشيوخ المدابر
ولكن أليم مثل ما قال ربنا   به الجلد ينضج ان يبدل بآخر
غداً تعلمون الصادق القول منهما   اذا لم يتوبوا اليوم علم مباشر
ويبدو لكم غير الذى يعدونكم   بأن عذاب الله ليس بضائر
ويحكم رب العرش بين محمد   ومن سن علم الباطن المتهاتر
ومن جا بدين مفتر غير دينه   فأهلك أغماراً به كالاباقر
فلا تخذلن المسلمين عن الهدى   وما للنبي المصطفى من مآثر
ولا تؤثروا غير النبي على النبي   فليس كنور الصبح ظلم الدياجر
دعوا كل ذي قول لقول محمد   فما آمن في دينه كمخاطر
وأمار جالات «الفصوص» فانهم   يعومون في بحر من الكفر ظاهر
إذا راح بالريح المتابع أحمدا   على هديه راحوا بصفقة خاسر
سيحكي لهم فرعون في دار خلده   باسلامه المقبول عند التحاور

ويا أيها الصوفي خف من «فصوصه» خواتم سوء غيرها في الخناصر
فلاسفة باسم التصوف أبرزوا عقائد كفر بالمهيمن ظـــاهر
كلام «الفصوص» احذره فهو كما ترى وتسمع لا تعدل به كفر كافر
وحاربه في الباري فقد ضل واعتدى وكان على الاسلام أجور جائر
وفي بعض ما أمليته من كلامه غنى بعضه كاف لأهل البصائر
ويا علماء الدين ما العذر في غد من الله ان عوتبتم في التدابر
أما أخــذ الميثاق في أن تبينوا علومكم للناس عند التذاكر
وأوجب لعنا منه في معشر عصوا ولم يتناهوا عن فعال المناكر
يسب إله العرش فيكم وكلكم حضور ألا لا قدست من محاضر
يقال بأن الرب عبد وعبده هو الرب والتكليف ليس بظاهر
وان رسول الله يأتي وراءه من الصين من يعلوه عند التفاخر
ويطرق سمعاً بينكم مثل هذه ويهنيكم طعم الكرى في المحاجر
أيدعى بمحيي الدين هذا فتسكتوا برئت الى الرحمن من كل غادر
أما لكم في الله والرسل غيرة أما رجل منكم شديد المرائر
أعيذكم أن تسمعوا فيهم الاذى وتبدون حلم الموجع المتصابر

فـان لم تصبكم في الإله حميـة ⁂ وتفتوا بما دونتم في الدفاتر
وإلا فلا أبدت لكم صفحاتها ⁂ ولا وضعت أقلامكم في المحابر
لمن تحفظون العلم أو تدخرونه ⁂ اذا لم تقوموا عند هذي الجرائر
أفي الله أو في المصطفى ذو صداقة ⁂ تحابونه اوذو وداد معاشر
وهل من عزيز عندكم تؤثرونه ⁂ على الله والمختار عند التضافر
تباع وتقرا هذه الكتب فيكم ⁂ وانتم سواء والذي في المقابر
فان قلتم لم تنه فينـا علومه ⁂ فها أنا قد أنهيت هل من مبازر
أما أحرقت في مصر والشام كتبه ⁂ باجماع أهل العلم باد وحاضر
أما رجعوا فيها الى ملك أرضهم ⁂ فشـد لنصر الله عقد المآزر
وذب عن الدين الحنيفي بسيفه ⁂ برغم عرانين الأنوف الصواغر
فما العذر إن لم تنهضوا وتناصروا ⁂ على ما أمرتم عنده بالتناصر
وللطير في الخطب اجتماع وضجة ⁂ فهل أنتم في الضعف دون العصافر

الى أن قال في مخاطبة بعض من حاوره في ابن عربي[1]

---

(١) في الاصل : ابن العربي بالتعريف ، وتنكيره أصوب .

فان قلت دين ابن العرابي[1] ديننا　　وتكفيره تكفيرنا فالتحاذر

أقل إنك الآن المكفر نفسه　　وأنت الذي ألقيتها في التهاتر

فذلك دين غير دين محمد　　وكفر لجوج في الضلالة ماهر

أتى بمحال لو عقلت رفضته　　وكنت له في الله أول هاجر

كلام كأقوال المجانين بشه　　اليكم على جرف من الكفر هائر

أضل به من يقتفيه من الورى　　فما منكم للمقتفين بعاذر

تجنيت لي ذنباً بذمي «فصوصكم»　　وذلك عند الله إحدى ذخائري

هل الأمر بالمعروف عندك غيبة　　وهل سب عرضاً من نهى عن مناكر

وهي طويلة نحو مائتين وثلاث وأربعين بيتاً.

وأما ابن سبعين، فهو عبد الحق بن ابراهيم. قال: الذهبي في «تاريخ الإسلام» عبد الحق بن ابراهيم الشيخ الضال أبو محمد المريسي الصوفي الفيلسوف، وله كلام في الحقيقة على طريقة الاتحاد، مات بمكة سنة ٦٦٩ وسبب نزوله مكة أنه ظهر منه كلام أوجب للعلماء الفتوى بقتله، فهرب إليها وأظهر لأبي نمي، يعني الشريف صاحب مكة أشياء من السيمياء والكيمياء، حتى صار عنده في الذروة، وأحدث له ابن سبعين هذه الخطبة التي يخطب فيها المؤذن على قبة زمزم، ويذكر نسبه الى علي بن أبي طالب

---

(١) عرف هنا ومد لضرورة الشعر

رضي الله عنه. وقال ابن سبعين لأبي نمي : دعني أخرب هذا الركن الاسود ، وأستخرج لك من تحته سراً ليس عند ملك مثله . قال : فحكاها لخطيب مكة ، فزاد فيها ، أنه قال : وأحفر داخل البيت عن دفائن وخبايا ، وكان يعيب الطائفين ويقول : لماذا يدور أحدهم حول البيت ؟! وكان يخرج إلى مفازة ظاهر مكة ، فيسجد للشمس ، وكان يسجد للقطب الشمالي ، ولما مات لم يشيعه إلا نفر قليل جداً ، فان الناس شكوا في أمره ، وظهر عنه أعمال من جنس السحر انتهى .

قال الذهبي : قلت : مازال ابن سبعين بحمد الله تعالى ممقوتاً عند علماء الإسلام ، إلا من كان على خبيث نحلته ، قال : والسبعينية ، فقهاء زنادقة ، يتركون الصلاة ، ويفعلون العظائم ، ولهم رموز وإشارات أكره أن أتفوه بها ، ثم قال : إن فتحنا باب التأويل عن المقالات والضلالات ، بطلت دواوين الملل والنحل ، لأن أبا حامد ذكر في « مشكاة الأنوار » فصلا في حال الحسين الحلاج ، وأخذ يعتذر عما صدر منه من الاطلاقات الكفرية ، وأقبل يحملها على محامل بعيدة . وقال هذا من شدة الوجد ، كما قيل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

قال الذهبي : قلت : كان البدريون أشد حباً لله ، فما نطقوا بهذا ، وقد يقول العارف كلاماً لا بأس بالاعتذار عنه ، أما من يقول : ان هذا العالم هو حقيقة الله ، فهذا لعين والمسلم إذا تأمل كتب هؤلاء ، وأمعن النظر فيها ، حصل له ما لايندفع أنهم فرقة مارقة عن الاسلام ، وأنهم يقولون : إن الخالق هو عين المخلوقين ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، لكن من لطف الله تعالى أن هؤلاء الباطنية خاملون لايجسرون أن يعلنوا

جافكهم في مساجد الإسلام ، ولا في بلاد الكتاب والسنة ، فسل ربك الثبات على كلمة التقوى . انتهى كلامه .

وذكره ابن عبدالملك في «التكملة» وقال فيه : وكثر أتباعه على مذهبه[١] الذي كان يدعو اليه من التصوف ، نحلة ارتسموا بها من غير تحصيل لها ، وصنف في ذلك أوضاعاً كثيرة تلقوها منه ، ونقلوها عنه ، وبثوهـا في البلاد شرقاً وغرباً لا يخلى أحد منها بطائل ، وهي الى وساوس المخبولين ، وهذيان الممرورين ، أقرب منها الى منازع أهـل العلم ، ولفظه[٢] غير بلد وصقع ، لما كان يرمى به من بلايا، الله أعلم بحقيقتها ، ومطلع على سريرته فيها.

وتعقبه بعض علماء السنة من المغاربة فقـال : كان ينبغي أن لا يثبته في مصنفه ، فانه لا ينبغي أن يذكر مع أهـل العلم والتفسير ولا كرامة[٣] ولا والله مع أهل التوحيد .

وأما العفيف التلمساني ، فهو سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني الأديب . قال الذهبي : من فحول الشعراء وكبار الاتحادية ، يدعي العرفان ، له شعر رائق، وكان كاتباً على سوق الغنم بدمشق، له هيئة وحرمة، وكان يتعاطى[٤] الخمر ويتملطخ بمعايب، نسأل الله العفو ، وكان قد دخل الروم، وعمـل الخلوة ، وجاع ، وشرح « مواقف النفري »[٥] وهو القائل :

---

(١) في الاصل مذهبهم .

(٢) اللفظ : أن ترمي بشيء كان في فيك . ويقال : البحر يلفظ الشيء ، أي : يرمي به الى الساحل ، واللفظ ما لفظ ، أي : طرح ، والمعنى: لم يقبله غير بلد وصقع لما كان يرمى به (ابن سبعين) من البلايا .

(٣) في الاصل : ولا كره ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) في الاصل : يتغانى .

(٥) في الاصل : « مقامات النفري » وهو خطأ ، والتصويب من « الشذرات » و « الاعلام » .

الى الراح هبواحين تدعو المثالث   فما الراح للارواح الا بواعث
هي الجوهر الصرف القديم فان بدت   لها حبب[1] زينت بها وهو حادث

مات سنة ٦٠٩ وذكره أبو حيان فقال : ورأيت بالقاهرة العفيف أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ثابت الكوفي ، وكان يحضر عندي في بيتي في المدرسة الصالحية ، وينظر في شيء من النحو ، وأنشد لي قطعاً من شعره ، وكان قد تزوج بنت ابن سبعين ، وأولدها ولداً يسمى : محمداً ، وكان شاعراً ظريفاً ، ومات وهو شاب ، ولما حضر معنا للقراءة على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصبهاني ، سأله : من أنت ؟ فقال : أنا ابن مملوكك العفيف التلمساني ، فتبسم وقال : أنت عريق في الالوهية ، أمك بنت ابن سبعين ، وأبوك العفيف التلمساني وكان هذا التلمساني متقلباً في أحواله ، فتارة يكون شيخ زاوية ، وتارة يشتغل في ديوان الخدم ، قدم علينا القاهرة ، فنزل في « خانكاة سعيد السعدا » في ايالة شيخ الشيوخ إذ ذاك ، وأقام أشهراً ، ثم حكي عنه أنه حضر مجلس أنس ومعهم مغن مليح فشاع عنه أنه قبل المغني ، وقال : أنت الله ، فرمى الصبي الطار من يـــده ، ووجم لمقالة العفيف ، وأصبح أهل المجلس يتحدثون بما قاله العفيف ، فخاف على نفسه ، وخرج فاراً قبل الظهر الى الشام .

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمـــه الله تعالى : وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه ، أنه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد ، قال : قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئاً فرأيته

---

(١) في الاصل حيب . وهو خطأ .

مخالفاً للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال : القرآن ليس فيه توحيد ، بل القرآن كله شرك ، ومن اتبع القرآن لم يصل الى التوحيد ، قال : قلت له : ما الفرق عندكم بين الزوجة والأجنبية والأخت ، الكل واحد ؟ قال : لا فرق بين ذلك عندنا ، وانما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراماً . فقلنا : هو حرام عليهم عندهم ، وأما عندنا فما ثمّ حرام . وحدثني كمال الدين ابن المراغي أنه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذكور ؛ قال : وكنت أقرأ عليه في ذلك ، فانهم كانوا قد عظموه عندنا ، ونحن مشتاقون الى معرفة « فصوص الحكم » فلما صار يشرحه الي أقول ، هذا خلاف القرآن والاحاديث ، فقال : ارم هذا كله خلف الباب ، واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد ؛ أو كما قال : ثم خاف أن أشيع ذلك عنه ، فجاء إليّ باكياً وقال : استر عني ما سمعته مني .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب اخر

وأتى فريق ثم قال وجدته ... بالذات موجوداً بكل مكان

هو كالهواء بعينه لا عينه ... ملأ الخلو ولا يرى بعيان

والقوم ما صانوه عن بئر ولا ... قبر ولا حش ولا أعطان

بل منهم من قـــد رأى تشبيهه بالروح داخل هـذه الأبدان
ما فيهم من قـال ليس بـداخل أو خارج عن جملة الاكوان
لكنهم حاموا على هـــذا ولم يتجاسروا من عسكر الايمان
وعليهم رد الأئمة أحمـــد وصحابه من كل ذي عرفان
فهم الخصوم لكل صاحب سنة وهم الخصوم لمنزل القرآن
ولهم مقالات ذكرت اصولها لما ذكرت الجهم في الاوزان

أقول : هذا الذي ذكره الناظم ، هو قول النجارية ، وهو أن الله تعالى بذاته في كل مكان ، وأما الجهمية الفحول ، فهم يقولون : إنـــه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، ولهذا قال الناظم : وعليهم رد الأئمة أحمد الخ. أي ، ان كلام الامام أحمد وأصحابه انما هو في الرد على القائلين بأن الله في كل مكان .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب « الايمان » : كلام السلف كان فيما يظهر لهم ويصل اليهم من كلام أهل البدع ، كما تجدهم في الجهمية انما يحكون عنهم أن الله في كل مكان ، وهذا قول طائفة منهم ، كالنجارية ، وهو قول عوامهم ، وعبادهم ، وأما جمهور نظارهم من الجهمية والمعتزلة والضرارية وغيرهم ، فانما يقولون : هو لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا هو فوق العالم. انتهى.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه ... هذا ولكن جد في الكفران
فأسر قول معطل ومكذب ... في قالب التنزيه للرحمن
إذ قال ليس بداخل فينا ولا ... هو خارج عن جملة الأكوان
بل قال ليس ببائن عنها ولا ... فيها ولا هو عينها ببيان
كلا ولا فوق السموات العلى ... والعرش من رب ولا رحمن
والعرش ليس عليه معبود سوى ... العدم الذي لا شيء في الأعيان
بل حظه من ربه حظ الثرى ... منه وحظ قواعد البنيان
لو كان فوق العرش كان كهذه الـ ... أجسام سبحان العظيم الشان
ولقد وجدت لفاضل منهم مقا ... ماً قامه في الناس منذ زمان
قال اسمعوا ياقوم إن نبيكم ... قد قال قولاً واضح البرهان
لا تحكموا بالفضل لي أصلاً على ... ذي النون يونس ذلك الغضبان

هذا يردعلى المجسم على قولـه		الله فوق العرش والاكوان
ويدل ان إلهنا سبحانـــه		وبحمده يلقى بكل مكان
قالوا له بين لنا هـــذا فلم		يفعل فأعطوه من الأثمان
ألفاً من الذهب العتيق فقال في		تبيـانه فـاسمع لذا التبيان
قد كان يونس في قرار البحر تحـــت الماء في قبر من الحيتـان
ومحمد صعد السماء وجاوز السـ		ـبع الطباق وجـاز كل عنان
وكلاهمـا في قربه من ربـــه		سبحانه إذ ذاك مستويان
فالعلو والسفل اللذان كلاهما		في بعده من ضده طرفـان
إن ينســبا لله نزه عنهـما		بالاختصاص بلى همـا سيان
في قرب من أضحى مقيمافيهما		من ربه فكـلاهمـا مثلان
فلأجل هذا خص يونس دونهم		بالذكر تحقيقاً لهذا الشـان
فأتى النثار عليه من أصحابه		من كل نـاحيـة بـلا حسبان
فـاحمـد إلهك أيهـا السني اذ		عافاك من تحريف ذي بهتـان
والله ما يرضى بهذا خـائف		من ربه أمسى على الايمـان
هذا هو الالحاد حقاً بل هو التـ		ـحريف محضاً أبرد الهـذيان
والله ما بلي المجسم قط ذي الـ		ـبلوى ولا أمسى بذي الخذلان

أمثال ذا التاويل أفسد هذه الـ   أديـان حين سرى الى الأديان

والله لولا الله حـافظ دينـه   لتهدمت منه قوى الاركـان

أقول : هذا الركب هم الأشاعرة ، وقوله : ولقد وجدت لفاضل منهم الخ .. هذا الفاضل هو الامام أبو المعالي عبد الملك ابن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين . مولده كما في « الكامل » سنة عشر وأربعمائة وفي « تاريخ ابن ابي الدم « سنة تسع عشرة وأربعمائة»، إمام العلماء في وقته فحل المذهب ، سافر الى بغداد ، ثم الى الحجاز ، وأقام بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي ويصنف ، وأم في الحرمين الشريفين ، وبذلك لقب ، ثم رجع الى نيسابور ، وجعل اليه الخطابة ومجلس الذكر والتدريس ثلاثين سنة ، وحظي عند نظام الملك . ومن تلاميذه الغزالي ، وأبو القاسم الأنصاري ، وأبو الحسن علي بن محمد الطبري الكيا الهراسي ، وادعى إمام الحرمين الاجتهاد المطلق ، لأن أركانه حاصلة له ، ثم عـــاد إلى اللائق به ، وتقليد الامام الشافعي . ولما مرض حمل الى قرية موصوفة باعتدال الهوى وخفة الماء اسمها « بشنقان » فمات بها ونقل الى نيسـابور تلك الليلة ، ودفن من الغد في داره ، ثم نقل بعد ست سنين الى مقبرة الحسين ، فدفن بجنب أبيه ، وصلى عليه ولده أبو القاسم ، فاغلقت الاسواق يوم موته ، و كسر منبره في الجامع ، وقعد الناس لعزائه ، ورثوه كثيراً ، ومنه :

قلوب العالمين على المقـالي   وأيام الورى شبه الليالي

أيثمر غصن أهل الفضل يوماً   وقدمات الامام أبو المعالي

وكانت تلامذته يومئذ نحو أربعمائة . ومن مصنفاته « نهـاية المطلب في دراية المذهب » و « الشامل » و«الارشـــاد » كلاهما في أصول الدين ، و « الرسالة النظامية في الأركان الاسلامية » و « البرهان » في أصول الفقه. وغيرها توفي رحمه الله تعالى في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في كتاب « النبلاء » في ترجمة الامام ابي المعالي ، كان هذا الامام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته ، لا يدري الحديث كما يليق به ، لا متنا ولا إسناداً ذكر في كتاب البرهان حديث معاذ في القياس ، فقال : هو مدون في الصحاح ، متفق على صحته . قلت : بل مداره على الحارث ابن عمرو ، وفيه جهالة عن رجال من أهل حمص ، عن معـاذ ، فاسناده صالح . انتهى . وقصة مقامه المذكور ذكرها الامام ابو عبد الله القرطبي رحمـه الله تعالى في « تذكرته » فقال : فصل :قوله ﷺ « ومن قال أنا خير من يونس بن متي فقد كذب »[١] للعلماء فيه تأويلات ، أحسنها وأجملها ما ذكره القاضي أبو بكر ابن العربي . قال : اخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمـــام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، أنه سئل هل الباري في جهة ؟ فقال : لا ، هو يتعالى عن ذلك . قيل له : فما الدليل عليه؟ قال : الدليل عليه قول النبي ﷺ : « لا تفضلوني على يونس بن متى »[٢] فقيل له : ما وجه الدليل من هـــذا الخبر ؟ فقال : لا أقوله حتى يأخـذ ضيفي هذا الف دينار يقضي بها ديناً ، فقام رجلان فقالا : هي علينا ،

---

(١) في البخاري بلفظ : « لا ينبغي لعبد ان يقول : انا خير من يونس به متى» .

(٢) رواه البخاري بلفظ : « ولا اقول : إن احداً افضل من يونس بن متى» .

فقال : لا يتبع بها اثنين ، لأنه يشق عليه ، فقال واحد: هي علي. فقال : إن يونس بن متى ﷺ رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت ، وصار في قعر البحر في ظلمـــات ثلاثة ، ونادى (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) الأنبياء : ٨٧ كما أخبر الله ، ولم يكن محمد حين جلس على الرفرف الأخضر ، وارتقى به صعداً حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الأقلام ، وناجاه ربه بما ناجى به ، وأوحى اليه ما أوحى ؛ بأقرب الى الله من يونس في ظلمة البحر . انتهى سياق القرطبي .

قلت ، كان هذا الامام مع فرط ذكائه وغزارة علمه تتلون آراؤه ، ففي كتاب « الشامل » و كتاب « الارشاد » مشى على تأويل الصفات الخبرية ، وفي كتاب « الرسالة النظامية » مشى على ان التأويل محرم . قال في « الرسالة النظامية » : اختلف مسالك العلماء في هـــذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها ، والتزم ذلك في آي الكتاب ، ومايصح من السنن. وذهب أئمة السلف الى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها الى الرب عز وجل . والذي نرتضيه ديناً ، وندين الله به عقيدة ، اتباع سلف الأمة ، والدليل القاطع السمعي في ذلك ، وأن إجماع الأمة حجة متبعة . فلو كان تأويل هـذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . واذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل ، كان ذلك هو الوجه المتبع ، فلتجر آية الاستواء ، وآية المجيء ، وقـــوله : (لماخلقت بيدي) ص : ٧٥ على ذلك .

قال الحافظ الذهبي في كتاب « العلو » قال الحافظ الحجة عبد القادر الرهاوي : سمعت عبد الرحيم ابن أبي الوفاء الحاجي يقول : سمعت محمد بن